مجلة المختار للعلوم الإنسانية 22 (1): 40-81، 2013

Research Article Open Access

الأهمية الاستراتيجية لليبيا خلال الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945

فادية عبد العزيز القطعاني
قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة بنغازي – سلوق

Doi: https://doi.org/10.54172/y3xven83

المستخلص : يطرح هذا البحث فرضية تفيد أن ليبيا كانت مستهدفة للاستعمار بسبب موقعها الجغرافي الاستراتيجي، مما جعلها محل اهتمام للقوى الخارجية خلال التاريخ، خاصة في الحرب العالمية الثانية. يسعى البحث إلى استكشاف أهمية هذا الموقع الاستراتيجي ومواطن القوة والجذب فيه، وكيف تم استغلاله خلال التاريخ، بالإضافة إلى التركيز على دور ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية. يتضمن البحث أسئلة حول الأهمية الجغرافية لليبيا ودورها التاريخي، وكيفية استخدام القوى الكبرى لموقعها خلال الحرب العالمية الثانية. يسعى البحث إلى إبراز قيمة وأهمية موقع ليبيا في الصراعات الاستعمارية، بتسليط الضوء على موقعها الاستراتيجي وتأثيراته التاريخية.

الكلمات المفتاحية: ليبيا, الموقع الاستراتيجي, الاستعمار , الحرب العالمية الثانية

The Strategic Importance of Libya during World War II (1939 - 1945)

Fadia Abdulaziz Al-Quta'ani
Department of History, Faculty of Arts and Sciences, University of Benghazi - Suluq

Abstract: This research proposes a hypothesis that Libya, due to its strategic geographical location, has been a target for colonization throughout history, attracting external powers' interest, especially during World War II. The research aims to explore the significance of this strategic location and its sources of power and attraction, along with how it has been utilized throughout history, focusing on Libya's role during World War II. The study includes questions about Libya's geographical importance and its historical role, as well as how major powers utilized its location during World War II. The research seeks to highlight the value and significance of Libya's location in colonial conflicts, shedding light on its strategic position and historical impacts.

Keywords: Libya, strategic location, colonization, World War II

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمة

يطرح هذا البحث فرضية مفادها "أن ليبيا، بحكم موقعها الجغرافي المهم، كانت مستهدفة استعمارياً عبر العصور، عدا استثناءات قليلة، من جهة أن استراتيجية المكان، بكل تناقضاته وعلى الرغم منها، ينبئ عن مواطن قوة كامنة فيه، وهو ما مثل عامل جذب للقوى الخارجية، كي تتعامل معه بشكل أو بآخر، خلال مراحل التاريخ المختلفة.

في العصر الحديث، أثناء الصراع بين القوى الأوروبية الكبرى، في الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، زاد الاهتمام بهذا الموقع الاستراتيجي إلى درجة كبيرة، ما يحفز على طرح بعض الأسئلة المهمة في هذا الصدد، هي: ما أهمية موقع ليبيا الجغرافي؟ وماهي مواطن القوة والجذب والخطورة في المكان؟ وكيف تم استغلال هذا الموقع، خلال مراحل التاريخ المختلفة، حتى الحرب العالمية الثانية؟ هذه الأسئلة وغيرها سيعنى هذا البحث بالإجابة عنها، مع ملاحظة أن الجزئية المتعلقة بالمعارك الحربية في الحرب العالمية الثانية، سيتم تناولها بشكل عام ومختصر، نظرا لتوفر المادة المتعلقة بها. ومن ثم فإن ما سيطرح هنا بخصوص ذلك ليس سرداً تاريخياً، بقدر ما هو أساسا لتأكيد أهمية المكان خلال هذه الفترة، التي تمثل، في حقيقة الأمر، إحدى مراحل الصراع الاستعماري الاستراتيجي في ليبيا وعليها.

إن الغرض الأساسي من هذه الدراسة هو إبراز قيمة موقع ليبيا وأهميتها التاريخية. ووفقاً لذلك سيتم تناول موضوع: "أهمية ليبيا الإستراتيجية خلال مراحل الصراع الاستعماري، مع التركيز علي مرحلة الحرب العالمية الثانية"، على ضوء المحاور التالية:

1-موقع ليبيا الجغرافي وأهميته.

2-البعد التاريخي لأهمية ليبيا الاستراتيجية.

3-استغلال القوى الكبرى موقع ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية.

أولاً - موقع ليبيا الجغرافي وأهميته:

تعد ليبيا، بحكم الجغرافيا السياسية وبمقاييسها، دولة قديمة، فمنذ عرف الإغريق القدماء الأرض التي ذكرها لنا "هيرودوت" باسم ليبيا[1]، والعالم يتعامل معها كوحدة كجغرافية متميزة تقدم وعاءً طبيعياً، فعلياً أو ممكناً،

لوحدة سياسية منفردة، مهما كان نصيب هذا المحتوى من القوة والوزن، أو حظ حدوده من الوضوح والتبلور[2]. قد تكون تلك الوحدة ضئيلة الحجم والثقل كثيراً أو قليلاً، وقد تختفي تماما حتى تتمزق وتتقاسم أحيانا ، ولكنها تعود دائماً إلى الظهور، وتفرض نفسها حتى على المستعمر الخارجي، وأيضاً على أبنائها أنفسهم في الداخل.

فبين كتلة المغرب في الغرب، ووادي النيل بمصر وحوضه في الشرق، وإلى الجنوب من الحوض الأوسط للبحر المتوسط، تمتد مساحة شاسعة، طولها مئات من الأميال، وعرضها بضعة مئات أخرى، تألفت بهذا الامتداد وحدة إقليمية منفصلة عن كل منها، ومن ثم يمكن اعتبارها منطقة جغرافية قائمة بذاتها، ثم هي، وإن اشتركت معهما في القطاع الأكبر من الصحراء، التي هي بحد ذاتها عامل فصل أولي، إلا أنها تختلف بقطاعها الفعال عن كل منهما اختلافات متفاوتة، ولكنها أساسية، سواءٌ في البنية أو البيئة أو في الجوانب الطبيعية أو في النواحي البشرية.

ومن هذين العاملين استمدت ليبيا كياناً تلقائياً منفرداً ومستقلاً، سواء إقليمياً، كمنطقة جغرافية، أو سياسياً، كوحدة سياسية، ومن ثم كان هذان العاملان نفساهما هما أيضا نقطتا القوة الحقيقيتان في الوجود الليبي، فهما اللتان ضمنتا قيامه أولاً، ثم بقاءه ثانياً، عبر التاريخ، مهما كانت الظروف والعقبات الأخرى الجغرافية والتاريخية. وإذا كان شريط برقة وطرابلس هو نواة ليبيا جغرافياً، فإنه أيضاً نواتها التاريخية، فمن هنا نشأ الوطن السياسي الليبي في القديم، ومنها توسع بالتدريج نحو الجنوب حتى اكتسبت رقعتها الجغرافية الحالية[3].

كانت منطقتا برقة وطرابلس موطناً لتنظيمات سياسية مبكرة، قبلية أو اتحادات قبلية، ثم لمستعمرات من وراء البحر، متصلة كالعقد جغرافياً، أو متقطعة مستقلة، أو تابعة، ولكنها كانت دائماً تمثل بذرة الكيان السياسي في المنطقة. وبينما كانت هذه التنظيمات السياسية ترتكز إلى قاعدتها الأرضية الراسخة بمواردها الزراعية، كانت تجمع إليها منذ أقدم العصور موارد البحر، ورعي الصحراء، والأهم من ذلك أنها كانت تستثمر موقعها الجغرافي بين البحر والصحراء في الوظيفة التجارية، فكانت مجمع طرق القوافل الصحراوية من الجنوب، وطرق الملاحة البحرية من الشمال[4]. وفي هذا ما يدل علي التوسع التدريجي، ولكن باستمرار من الشمال إلى الجنوب، حيث كان الظهير الصحراوي، وخاصة فزان، أقدم ارتباطاً بالشمال، ففزان كانت مرتبطة بصورة ما سياسياً بالشمال، وهو ما نجده بشكل واضح في العصور الوسطي المتأخرة، خلال العهد العثماني على سبيل المثال. هذا الارتباط، سواء بالتجارة المستمرة أو بالغزو، من فترة إلى أخرى، من قبل الجنوبيين، أبرز تلقائية ترابط برقة

وطرابلس وفزان في إطار إقليمي سياسي واحد. وبهذا تحددت رقعة ليبيا السياسية من إقليمين جغرافيين: إقليم ساحلي متوسطي، وظهير صحراوي داخلي في الجنوب، يوفر الحماية، كما يفرض العزلة. وأهم ما يميز هذه الرقعة الجغرافية هو الانتظام والاندماج الشديد. وهذا ما جعل من ليبيا رقعة سياسية منتظمة، فالحدود الشرقية والغربية عمودية على الساحل أو شبه عمودية، كما هي شبه متوازية، والحدود الجنوبية بدورها توازي خط الساحل في الشمال. كما تملك ليبيا ساحلاً طويلاً، يبلغ طوله 1900 كم تقريباً، وهو ما وفر لها نافذة كبيرة تطل على البحر الأبيض المتوسط.

ما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق أن حدود ليبيا السياسية قد حددت وفق صراع المصالح بين القوى الأوروبية المستعمرة في المنطقة، وما يفرضه هذا الصراع من توازنات ونتائج، فقد كانت كل قوة تسعى إلى توسيع رقعة نفوذها إلى أقصى حد ممكن، ومن ثم كان لعملية المد والجزر بين هذه القوى انعكاسٌ على الحدود، إما بالتوسع أو بالانكماش، وذلك خلال مرحلة ما بعد مؤتمر برلين[5]. وهذا يعني أن حدود المنطقة هي من صنع الاستعمار.

ومهما يكن من أمر فقد مثلت الحدود إطار الدولة السياسي، كما شكلت خطوط توازن القوة السياسية، وجبهات التحام الضغوط السياسية على جانبيها، وبهما تحددت المداخل والنقط الاستراتيجية الحاسمة، فحدود ليبيا تتاخم ست دول، منها اثنتان غير عربيتين، هما تشاد والنيجر، وأطول حدود لها هي تلك المشتركة مع الجزائر، تليها الحدود مع مصر، التي تكاد تعادل طول الحدود مع تشاد. ولا تزيد الحدود مع تونس عن حدودها مع السودان كثيراً، من حيث الطول، إلا أنهما تختلفان تماماً في الرسم والطبيعة والعمران والقيمة الاستراتيجية. أما أقصر الحدود فهي المشتركة مع النيجر.

في هذا الإطار يكتسب الخط الحدودي الساحلي الليبي مع تونس قيمة استراتيجية كبرى، فبه يتحدد المدخل الغربي الاستراتيجي والتاريخي لليبيا. كما أن حدود ليبيا مع الجزائر حدود مهمة ذات قيمة استراتيجية، سواء في قطاعها الشمالي أو الجنوبي[6]. أما الحدود الجنوبية، وهي المشتركة مع تشاد والنيجر، فقد عانت من التأرجح ما بين الشمال والجنوب، بسبب الضغوط السياسية، سواء من الجنوب أو الشمال، حتى انتهت إلى ما هي عليه، بموجب اتفاقية 1935 بين إيطاليا وفرنسا، التي لم يتم التصديق عليها[7]. وفيما يخص الحدود الليبية مع مصر فهي أطول حدود لليبيا مع شقيقات عرب، ومرت عملية تحديدها بمشكلات سياسية معقدة. وتعد الحدود مع

مصر ذات أهمية استراتيجية، لكونها مدخل مصر الغربي، ومدخل ليبيا الشرقي لليبيا. ولئن كانت بوابة هذا المدخل تقع بعيداً داخل القطر المصري، إلا أن امتدادها الليبي يمثل وحدة استراتيجية متصلة، كما تشهد الحرب العالمية الثانية بشكل خاص.

تلخيصا لما سبق نقول إن ليبيا، إذا كانت تتوسط ساحل البحر المتوسط الجنوبي، فإنها تتوسط العالم العربي الأفريقي. وإذا كانت تتألف من الداخل من نطاق متوسطي، فإنها تضم أيضاً قطاعاً صحراوياً. وإذا كانت تطل على البحر المتوسط، ومن خلفه على أوروبا شمالاً، فإن ظهيرها الصحراء الكبرى، ومن ورائها السودان الأفريقي وأفريقيا المدارية جنوباً.

ولما كان ما ذكر هو الإطار الحدودي لموقع ليبيا الجغرافي، فإن موقعها السياسي حددته ميزتان مهمتان، لا تخرجان كما أنهما لا تنفصلان عن التركيب الجغرافي للموقع: الأولي إطلالة ليبيا على البحر المتوسط البالغ الأهمية والخطورة، وارتباطها بقواه منذ فجر التاريخ، وفي كل الاتجاهات، وعلى كل المحاور. والثانية، وهي لا تقل أهمية أو تأثيراً عن الأولى، فإنها تتمثل في وقوع ليبيا في منطقة بين مصر والمغرب. وبهذا الوضع (البيني) أصبحت تشكل بالضرورة ممراً أو جسراً ممتداً بين قطبين هما: مصر والمغرب، وهو ما كان له تأثيره السياسي والحضاري عليها. وهذا ما يكشف عنه بعدا ليبيا: المغرب والمشرق، فالأول يمثل خط الحياة والتعمير، الذي استمدت منه ليبيا سكانها وحضارتها، ومن الثاني استمدت عروبتها وإسلامها (الثقافة والعقيدة)، ثم قدمتهما إلى المغرب[8].

ثانياً: البعد التاريخي لأهمية ليبيا الاستراتيجية:

أثار موقع ليبيا انتباه عدد من المستكشفين، لكن أهم رحلة كشفية هي تلك التي قام بها المستكشف الألماني رولفس" Rohlfs"، بين سنتي 1864 ،1879، والتي لاحظ فيها أن قيمة ليبيا تفوق قيمة تونس بأكثر من عشر مرات. كما علق رحالة ألماني آخر هو سشو وينفورت SChweinfurth على موقع طبرق، ووصفها بأنها الميناء البحري الذي سيؤكد تفوق البحر المتوسط[9].

هذه الإشارات تظهر، بلا شك، أهمية ليبيا، التي كانت سبباً في تعرضها، خلال تاريخها الطويل، لسلسلة من عمليات الاستعمار، التي تتابعت حلقاتها بلا انقطاع تقريباً، باستثناءات قليلة، كان أبرزها التاريخ المصري

القديم، والفتح العربي. وقد أصبحت ليبيا، نتيجة لهذا، معرضة في الأعم الأغلب للخطر الخارجي، الذي تمثل فيما يلي:

- الاستعمار البحري:

على الرغم من أن الأخطار الخارجية كانت أحياناً تأتي من الجنوب والصحراء، منذ أقدم غارات "الجنوبيين"، حتي أحدث ضغوط الفرنسيين، فإن مصدر الخطر الأساسي كان دائماً من الشمال والبحر. ولذا كان الاستعمار الأكثر بروزاً هو الاستعمار البحري، فمن البحر المتوسط، سواء على طول سواحله الأفريقية، يميناً ويساراً، أو من وراء ساحله المقابل شرقاً وغرباً، جاءت معظم دورات الغزو أو الاستعمار. هذه الحقيقة المنطقية إنما تعكس مركز البحر المتوسط عبر التاريخ كبؤرة القوة في العالم القديم. ونتيجة لهذا كان الاهتمام منصباً على منطقة البحر المتوسط بشكل عام، وعلي ليبيا بشكل خاص، لأهمية إطلالتها عليه. ومما يدل على هذه الأهمية أن مصدر الخطر الخارجي المتوسطي، الذي تعرضت له ليبيا، قد اتخذ حركة ذات نمط جغرافي محدد يشبه المروحة(10).

فمن مصر القديمة، على امتداد الساحل الشرقي أولاً، إلى فينيقيا الشام، إلي اليونان، ثم روما، استدار السهم في دورة مروحية، عكس عقارب الساعة، أي من الشرق إلى الغرب باضطراد، خلال العصور الوسطي القديمة والكلاسيكية، ثم تكرر النمط نفسه تقريباً في دورة أخرى، خلال العصور الوسطي والحديثة، فمن الجزيرة العربية مع الفتح العربي، إلى الدولة العثمانية بعد ذلك، إلي إيطاليا في النهاية.

من مجموع هاتين الدورتين نرى أيضاً أن الخطر البري والبحري الذي واجهته ليبيا إنما أتى أساساً من الشرق، ومن الحوضين الشرقي والأوسطي للبحر المتوسط، بساحليه الشمالي والجنوبي. أما الحوض الغربي فقد كانت المؤثرات الخارجية فيه ثانوية للغاية، ومتأخرة زمنياً، ومحدودة سياسياً. ولعل هذا الفارق يعكس علاقات ليبيا الطبيعية من حيث موقعها الجغرافي في حوض البحر المتوسط.

وقد كان موقع ليبيا الجغرافي المهم هذا بين البحر المتوسط والصحراء الكبرى، أي بين البر والبحر، سبباً في تعرضها لاستعمار، تراوح أساساً بين استعمار استيطاني واستعمار استراتيجي: فالاستعمار الاستيطاني تمثل في كل من الاستعمار الفينيقي والإغريقي، أما الاستراتيجي فكان الاستعمار الروماني، ثم الوجود العثماني. ومما

له مغزاه في هذا الصدد أن الاستعمار الإيطالي جمع أو حاول الجمع بين هذين الطابعين أو الطبيعتين. وازدواج الأغراض هنا انعكاس لمناخ ليبيا في شريطها المتوسطي، بإمكاناته السكنية الضعيفة، ثم موقعها بين البحر والبر، فقد أسهم هذا الموقع الفذ في اتساع أحلام إيطاليا الإمبراطورية، التي تبدأ من تونس وليبيا، ولا تنتهي إلا في الصومال واليمن. وبذلك تضم الإمبراطورية الإيطالية كل مناطق نفوذ الاستعمار البريطاني في حوض النيل: مصر والسودان، إلى جانب القرن الأفريقي، كما يرتكز هيكلها علي البحرين المتوسط والأحمر[11]. ومن هنا كانت ليبيا، من المنظور الإيطالي، هي مفتاح الإمبراطورية، لأنها تمثل نموذجاً مثالياً للاستعمار الاستراتيجي، فهي لا تتوسط ساحل البحر المتوسط الجنوبي في مواجهة إيطاليا مباشرة فحسب، ولكنها تقع أيضا بين الاستعمار البريطاني في شمال شرق أفريقيا، والفرنسي في شمالها الغربي. ولهذا فهي تعد نقطة وثوب من القاعدة الأم، وموطئ قدم على اليابس الأفريقي، وهو ما يجعل منها رأس حربة داخل محيط الاستعمار القديم، ويمكن إيطاليا من التحرك من هذه القاعدة يميناً ويساراً[12].

في هذا الإطار يجب ألا ننسى قيمة الجنوب الليبي، وتحديداً واحة الكفرة، بالنسبة للاستعمار الإيطالي، فأهمية الكفرة الإستراتيجية لا تقل عن أهمية الساحل الليبي، بالنسبة لها، من حيث أن هذه الواحة يمكن أن تتخذ قاعدة وحيدة وسط الصحراء، ونقطة وثوب إلى السودان من الجنوب.

ومن هنا يمكن القول إن الاستعمار الإيطالي كان، في حقيقته، استعماراً استراتيجياً، استعمار مواقع وقواعد عسكرية وموقع جغرافي.

إذا كان ما ذكر مثل الجانب الإيجابي لموقع ليبيا بالنسبة لإيطاليا، فما هو جانبه السلبي؟

تمثل هذا الجانب فيما لعبته البيئة الجغرافية والمعاقل الجبلية من دور رئيس في حركة الجهاد الليبي ضد الاستعمار الايطالي، فقد كانت طبيعة المسرح الجغرافي بيئة مواتية للمجاهدين الليبيين، بينما لم تكن كذلك لقوات العدو النظامية، وخاصة الميكانيكية. وفي الوقت نفسه كان الظهير الصحراوي الشاسع يمثل عمقاً استراتيجياً لقوات المجاهدين، وكان هذا الامتداد السحيق يرهق القوات الميكانيكية، إن لم يشلها تماماً في كثير من الأحيان.

وهكذا يتضح لنا مدى أهمية وقيمة جغرافية المكان، سواء في حالة الاستعمار أو في حالة التحرير.

في هذا السياق نفسه، نتناول نقطة مهمة وخطرة في آن واحد، وترتبط بشكل جذري بمزايا موقع ليبيا الجغرافي وأهميته الاستراتيجية، ألا وهي محاولة توطين اليهود في ليبيا.

في هذا الخصوص يذكر الأستاذ مصطفي عبد الله بعيو في كتابه (المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا) ما مفاده أن من المناطق التي كانت مقترحة من قبل الدولة العثمانية لتوطين اليهود في ليبيا منطقة سرت. فهي كما هو معروف تعد حزءاً مهما من ليبيا، بحكم الموقع الجغرافي لإقليم سرت، وأهميته بالنسبة لبقية أجزاء ليبيا، من حيث إنه يمثل حلقة وصل بينها، فضلاً عن أهمية سرت من حيث الإمكانيات الرعوية وتربية الحيوانات. من جهة أخرى كان هناك اقتراح آخر قدمه الوالي رجب باشا [1904-1909] لناحوم شلوش، الذي مهد لقدوم البعثة العلمية لدراسة أحوال برقة، وكان هو العنصر اليهودي الوحيد ضمن أعضاء البعثة، لزيارة منطقة مسلاته، للتعرف علي إمكانياتها. ومسلاته منطقة لا تبعد كثيراً عن البحر المتوسط، وهي بحكم قربها من مدينة الخمس البحرية يمكنها الاستفادة منها في الاتصال بالخارج، كما أن هذه المدينة معروفة بتلالها وكثرة أشجار الزيتون بها[13]. كذلك كان من ضمن المقترحات منطقة الجبل الأخضر. وعلى ضوء ذلك أرسلت (منظمة الأراضي اليهودية) برئاسة إسرائيل زانجويل بعثة علمية إلى منطقة الجبل الأخضر، لدراسة إمكانية الاستفادة من برقة كوطن قومي لليهود. وقد وجدت المنظمة أن برقة تمتلك إمكانيات طيبة صالحة للاستعمار، وذلك لأنها تتمتع بموقع جغرافي مهم، يطل على البحر المتوسط، الطريق المائي المهم للمواصلات العالمية، كما أنها، بحكم قربها من أوروبا، تجعل الاتصال ميسوراً لليهود في وطنهم الجديد بالثقافة الأوروبية بصفة عامة، واليهودية الأوروبية بصفة خاصة. إضافة إلى أن قرب برقة من أوروبا يعطي اليهود فيها دفاعاً ضد أي عنف قد يتعرضون له في وطنهم الجديد، ناهيك عن أن برقة تمتلك أراضى داخلية واسعة تعطي مجالاً أكبر لاستيعاب اليهود وإيوائهم.

لكل ذلك اعتبرت برقة أو منطقة الجبل الأخضر في كل الأحوال، سواءٌ جغرافياً أم طبيعيا أم اقتصادياً، هدية إلهية للاستعمار اليهودي بصفة خاصة، على حد تعبير رئيس المنظمة إسرائيل زانجويل[14].

وعلى أية حال، لم يكتب لهذه المحاولة النجاح، بسب جملة من العقبات، ليس هنا مجال ذكرها، لكن ما يمكن قوله أن محاولة توطين اليهود في ليبيا تكررت مرة أخرى، بعد الحرب العالمية الثانية، وهزيمة إيطاليا أمام الحلفاء، وذلك عندما أثار ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا موضوع إمكانية الاستفادة من إحدى

المستعمرات الإيطالية السابقة كوطن لليهود، فهو، كما يقول الأستاذ مصطفي بعيو، وإن لم يذكر ليبيا صراحة، إلا أن الشواهد التاريخية تشير إلى ذلك[15].

ومهما يكن من أمر فقد كان الاستعمار في ليبيا، كقاعدة عامة، استعماراً ساحلياً في المراحل المبكرة، بمعنى أنه كان يتركز أساساً، إن لم يقتصر تماماً، على الشقة الساحلية المتوسطة، دون أن يتغلغل كثيراً في الداخل[16]. فقد رأينا كيف ارتبط الاستعمار الفينيقي والإغريقي بشدة بالساحل، حتى ليمكن القول إنه كان استعماراً مدنياً بالدرجة الأولى. أما في المراحل الأحدث فقد اتسع الوجود الاستعماري، وتعمق أكثر في الصحراء، كما حدث في العهد الروماني إلى حد ما، ثم في فترة الفتح العربي، ثم زاد في هذا الاتجاه في عهد العثمانيين؛ إذ انجذبت الدواخل إلى دائرة نفوذ المراكز الساحلية[17].

ولاستكمال ملامح صورة البعد التاريخي لأهمية ليبيا الإستراتيجية، يجدر بنا أن نبرز أهم سماتها، التي تكاد أن تكون قد انحصرت في عملية الاقتسام الثنائي. فقد اقتسمت ليبيا مراراً وتكراراً بين أكثر من قوة خارجية أو استعمار أجنبي في وقت واحد. وكان هذا الاقتسام عادة ما ينصرف إلى برقة وطرابلس في المقام الأول. ومن الأمثلة علي ذلك: برقة الفرعونية، مقابل طرابلس الفينيقية، وبرقة الإغريقية مقابل طرابلس القرطاجنية، وبرقة البطلمية مقابل طرابلس الرومانية، وبرقة البيزنطية مقابل طرابلس الرومانية، وبرقة فارس مقابل طرابلس الوندال، وبرقة الفاطمية مقابل طرابلس الأفريقية، وأخيرا برقة العربية مقابل طرابلس النورمان والأسبان[18].

هذه الصورة تعبر بشكل ما عن تركيب أصيل في كيان ليبيا الطبيعي، هو بلا شك الثنائية الإقليمية بين هاتين الجزيرتين المتباعدتين، اللتين تفصل بينهما رقعة صحراوية شاسعة.

ولكن على الرغم من هذا الاقتسام الثنائي، فقد عرفت ليبيا الوحدة الاقليمية منذ وقت مبكر نسبياً، على الأقل منذ عهد الرومان، ثم زادت أبعاد هذه الوحدة وتعمقت بعد ذلك باستمرار، لا سيما تحت الحكم العثماني، وتحديداً منذ عهد يوسف القرمانلي، الذي أرسل حملة في 1811 للاستيلاء على فزان، بقيادة محمد المكني. وكانت هذه الوحدة، وحدة النطاق المتوسطي والظهير الصحراوي، تعني ضم طرابلس وبرقة لفزان وبقية الصحراء المجاورة[19]. وهذا، إن دل هذا علي شيء، فإنما يدل على أساس طبيعي واحد في النهاية، يجعل من ليبيا وحدة إقليمية وسياسية تلقائية.

ثالثاً – استغلال القوى الكبرى موقع ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية:

إذا كانت ليبيا بموقعها الفذ تبدو أسعد حظاً من كثير من الدول الأخرى، فإنها من الناحية الأخرى كانت بلا شك أسوأ حظاً من كثير من الدول الأخرى، من حيث أنها تلقت ضربة الاستعمار في أشد صورها ضراوة ووحشية، فمأساة ليبيا تمثلت في أنها، على الرغم من قصر عمر الاستعمار بها، قد تحملت ضراوة الفاشية لأول مرة في تاريخ الاستعمار الحديث، فقد اجتمع في ايطاليا الاستعمار والفاشية والإمبريالية والديكتاتورية. وفي ليبيا الإيطالية اجتمعت كلها لأول مرة مع الاستعمار الاستراتيجي والاستيطاني، ولهذا كانت مأساة ليبيا لا تقارن بغيرها من الدول، مثل الجزائر من قبل، وربما فلسطين من بعد.

لكل هذا أصبحت ليبيا، عندما قامت الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، مسرحاً للصراع بين القوى الكبرى، فقد كانت إيطاليا تبدو كقوة عظمى تهدد القوى الكبرى القديمة، مثل بريطانيا وفرنسا، بالسير في خطتها الإمبراطورية المزعومة[20]، بجعل ليبيا قاعدة للزحف يميناً ويساراً، في اتجاه مصر وتونس. ومن أجل ذلك قامت بتدعيم حدود ليبيا السياسية، كما أقامت شبكة استراتيجية في الداخل تخدم التوسع المنتظر للإمبراطورية الإيطالية الحلم[21]، فمدت الطرق المهمة التي سيتم من خلالها الزحف، ومنها الخط الرئيس، أي الطريق الساحلي الممتد من مصر شرقاً إلى تونس غرباً الذي افتتحه موسوليني أثناء زيارته لليبيا في الفترة 10-22 مارس 1937، وقد كان للزيارة هدف آخر هو إظهار صيرورة ليبيا الفعلية كقاعدة مهمة في لعبة الصراع بين القوى المتقابلة في البحر المتوسط، وهو ما ينسجم مع رؤية بالبو مهندس هذا الطريق، فقد كان بالبو مقتنعاً بأن انتماء المنطقة الساحلية في ليبيا إلى عالم البحر المتوسط أعظم بكثير من انتمائها إلى العالم الأفريقي[22]. ومع ذلك فلم تهمل إيطاليا جنوب ليبيا، فعملت، لأسباب عسكرية محضة، على شق طريق الكفرة، للاستفادة من الواحة كقاعدة استراتيجية في الصحراء، يمكن الوثوب منها إلى السودان وغيره.

لم تقف استراتيجية الاستعمار الايطالي عند هذا الحد، بل كثف من وجوده في مصر قبل الحرب العالمية الثانية، وكان هدفه من ذلك أن تصبح مصر قاعدة للزحف على السودان، وهو ما من شأنه أن يمكن إيطاليا من السيطرة على حوض النيل برمته، من منابعه في أثيوبيا والبحيرات إلى مصبه في مصر، وبذلك تصل ما بين مستعمراتها في شمال أفريقيا وكتلة مستعمراتها في "أفريقيا الشرقية الإيطالية: أريتريا وأثيوبيا والصومال الإيطالي".

انعكس هذا المخطط الإيطالي بالضرورة على ليبيا، لاسيما أن القوى الاستعمارية الأخرى، كبريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها، كانت لها هي أيضاً أطماعها ومصالحها وأهدافها الاستراتيجية الخاصة بها.

بيد أن تعارض المصالح والغايات بين هذه القوى الكبرى أدى، بطبيعة الحال، إلى الصدام المسلح فيما بينها، فكان أن تحولت ليبيا إلى مسرح للصراع الدموي الدولي في الحرب العالمية الثانية؛ إذ تحالفت إيطاليا مع ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا اللتين أعلنت إيطاليا الحرب عليهما في 10 يونيو 1940[23].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: كيف تم استغلال موقع ليبيا في الحرب العالمية الثانية؟

للإجابة عن هذا السؤال يمكن القول إن الصراع بين القوى الاستعمارية الكبرى في الحرب العالمية الثانية كشف عن جوهر استراتيجية موقع ليبيا وجغرافيته، وهذه نقطة في غاية الأهمية، لا بد من تناولها بشيء من التفصيل؛ إذ ترتّب عليها نمطٌ معين من العمليات الحربية، وأبرزت مواقع حيوية كمفاتيح استراتيجية، تحكمت في معركة ليبيا في الحرب العالمية الثانية، من حيث إنهاء الصراع ولصالح من.

فقد برزت أهمية حجم ليبيا في الحرب العالمية الثانية من حيث المساحة، فرقعة ليبيا الشاسعة، التي تعد من أكبر دول أفريقيا جميعاً في المساحة[24]، شكلت عاملاً مؤثراً في نمط العمليات الحربية، كما كان لإطاري الدولة الحدوديين، الشرقي والغربي، نفس الأهمية والتأثير، إلى جانب قيمة الداخل الصحراوي في كونه قوة موقوتة مدخرة، إن جاز التعبير لتحوله إلي حقول ألغام.

من المعروف أن المساحة المطلقة هي نقطة سياسية أساسية في حد ذاتها، ومهما كانت طبيعتها الظاهرية أو محتواها، فمطلق المساحة عمق استراتيجي مهم وحاسم، وشرط للحماية، خاصة في عصر الطيران والأسلحة الحديثة الأخرى، فكان أن استغلت هذه المساحة الشاسعة من الساحل والصحراء من قبل القوى المتصارعة، للدفاع عن مصالحها الحيوية ومناطق نفوذها، وذلك بأن ملأتها بالقوات التي يربو عددها على المليون ونصف المليون جندي، مزودين بمختلف الأسلحة الحديثة، ما سبب حدوث 3128 غارة جوية وهجوماً بحرياً و127 معركة وعمليات حربية أخرى[25].

ولكن من جهة أخرى شكل عنصر المساحة خطورة بالنسبة للقوات المتحاربة، وذلك من حيث إن الامتداد الشاسع كان عقبة أمام عملية الإمداد والتموين، مع طول الزحف وامتداد التقدم، فقد كانت خطوط الإمداد طويلة

بالنسبة للجانبين، إضافة إلى ما قد يعترضها من معوقات، كالهجمات الجوية والبحرية التي تعرقل عملية الإمداد البري[26]. وكان الأمر كذلك أيضاً في حالة الانسحاب، فقد كان طول المسافة يمثل مجازفة بالنسبة للقوات المنسحبة، لأنها تصبح أكثر تعرضاً من الخلف لضربات العدو.

وفيما يتعلق بالحد الشرقي لليبيا، نجد أنه من أطول الحدود بين العرب عموماً؛ إذ يبلغ طوله 1494 كم، منها 1094 كم مع مصر، و400 كم مع السودان، ولهذا كان هذا القطاع بين مصر وليبيا برمته يستمد خطره من الناحية الإستراتيجية، فكما هو مدخل مصر الغربي، هو مدخل ليبيا الشرقي. وإذا كان مفتاحه الحرج يقع داخل الجانب المصري، فإن امتداده الليبي يمثل وحدة استراتيجية متصلة، كما تشهد على ذلك الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة.

ينقسم هذا الحد من الناحية الطبيعية إلى ثلاثة أقسام من الشمال إلى الجنوب، كل منها يشكل خطاً حربياً مهماً، فشريط السهل الساحلي مهم لسهولته، ووعورة خط المنخفض الواحي لا تشكل عقبة أمام الحركة الميكانيكية. أما الأخير فقد جعلته رخاوة الأرض في الهضبة الجيرية إقليماً قليل الأهمية.

أما حد ليبيا الغربي مع تونس، حيث يضيق الساحل بين سلاسل المرتفعات الساحلية والبحر، فنجد أنه بمثابة بوابة تحدد المدخل الغربي الاستراتيجي والتاريخي لليبيا. ولهذه الأهمية أنشأ الفرنسيون خط مارت ضد الخطر الإيطالي في ليبيا على تونس، الذي استعمله الفيلق الألماني في الحرب العالمية الثانية في مواجهة زحف الحلفاء الأخير وتحصن فيه[27].

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى الداخل الصحراوي لليبيا، فقد كان حقل ألغام أكثر منه حقل قتال؛ ما أدى إلى حصر المعركة في الجزء الساحلي، وجعل مصير الداخل العسكري يتقرر على ضوء نتيجة معركة الساحل.

علي أية حال كان سير المعارك تتحكم فيه عادة طبيعة الأرض وكيفية الاستفادة من جغرافيتها، إضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بأعداد القوات والوضع العام وشخصية القائد[28].

وما يهمنا في هذا الصدد أن ليبيا فرضت بمساحتها وطبيعتها نمطاً حربياً معيناً، ظهر في سيولة معركة الصحراء، وهو ما تمثل في عملية المد والجزر[29]. وقد صار النمط طريقة مأثورة اتبعتها الدول المعتدية في هجماتها على طول المنطقة الممتدة من مصر شرقاً إلى تونس غرباً. وهكذا تحولت ليبيا إلى ميدان حربي حفل

بجميع أنواع الأسلحة، كالدبابات والطائرات والفرق المدرعة والمدفعية الثقيلة والسفن والغواصات والألغام، غير أن القوات المدرعة هي التي سادت في العمليات الحربية في الميدان الليبي، وذلك لأن التكتيكات كانت تشمل تقدم المدفعية تحت حماية الدروع والمشاة والمدافع المضادة للطائرات[30]. ثم طور الألمان أسلوبهم؛ إذ وجد رومل أن الدبابات تشكل الهيكل الأساسي للقوات المدرعة، أما بقية الأسلحة فلا تشكل سوى أسلحة مساعدة. ولهذا كان الألمان يتخذون هجمات مدفعية دباباتهم طعماً لجر البريطانيين إلى الأمام، حتى تقع الدبابات البريطانية في مدى المدفع الألماني المهلك 88 ملم، ومن ثم تطوقها وتقضي عليها، بالتعاون مع الطائرات والمدافع المضادة للدبابات. وفيما بعد استخدم البريطانيون تكتيكات مشابهة، وكان كل طرف يحتفظ بدروع احتياطية لضرب أجنحة الطرف الآخر، واستخدم الطرفان الدعم الجوي، فحقق الألمان به نتائج إيجابية، لوجود تعاون من جانب الطيران الألماني (لوفت وف)، بينما كان الطيران البريطاني يقدم دعماً أقل للقوات الأرضية البريطانية[31].

ومهما يكن من أمر فإن نجاح أي عملية كان يعتمد على التنسيق التام بين مختلف أنواع الأسلحة: القوة المدرعة في البر، تصحبها القوة الجوية، وتنسيق كليهما، كلما أمكن، مع القوة البحرية لاستخدامها الاستخدام المناسب.

وعلى ضوء هذا التنسيق استطاع رومل أن يصل إلى طبرق في عام 1942، ومنها إلى العلمين، لكنه ارتد بشكل عكسي من نفس الطريق بسبب نفس التخطيط البريطاني بقيادة مونتجمري، الذي صده عند العلمين، وأرجعه القهقرى، تحت ضغط الغارات الجوية وقنابل المدفعية البحرية.

إن هذا، إن دل على شيء، فإنما يدل على عملية المد والجزر الذي رافق حرب الصحراء، فاحتلال الصحراء متعذر، فقد يحتل موقع معين ليوم أو أكثر، ثم يقع في قبضة العدو، إذا تم التلاقي، فحرب الصحراء تفرض الحركة، لأن القتال فيها ضد عدو، لا غزو مواقع أو مساحات معينة من الأرض[32]. ولهذا طورت حرب الصحراء من إستراتيجية حرب الدبابات، بأن جعلتها معارك سريعة متحركة[33].

بناءً علي ما تقدم، يتبين أن موقع ليبيا وجغرافيته كان لهما أثر كبير في تحديد إستراتيجية الحرب العالمية الثانية، في ساحتها الأفريقية، فقد برز العامل الجغرافي كمؤثر أساسي في خطط الصحراء، باستثناء موقعي العقيلة في ليبيا، والعلمين في مصر، فلا يوجد سواهما موقع دفاعي يعجز العدو عن الإحاطة به[34]. وذلك لأن

موقع العقيلة يضمن سلامة الأجنحة، لتوفر المواقع الطبيعية، فهو ممر محصور بين البحر المتوسط وبحر الرمال الكبير جنوباً. أما في الأماكن الأخرى فكان هناك دائماً جناح مفتوح على الصحراء، ما يمثل مصدر قلق دائم للقادة[35].

إن هذا يجرنا، بطبيعة الحال، لاستعراض بعض المناطق الليبية التي اتسمت، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، بأهمية استراتيجية، وكانت محل مد وجزر بين القوى الاستعمارية المتصارعة، نظراً لأهميتها كمفاتيح استراتيجية أو خطوط دفاع حيوية، سواء من حيث استخدامها كموقع حربي مباشر، أو من حيث تحويلها إلى حقل ألغام يتشكل به طوق دفاعي ضد الخصم، أو استخدامها موقع دعم بشكل أو بآخر، ومن هذه المناطق ما يلي:

1-طبرق:

هذه القلعة الأسطورية هي مفتاح الطريق إلى مصر، وقد كانت خلال الحرب العالمية الثانية مثالاً للمد والجزر، وللانتصار والهزيمة، إضافة إلى كونها نقطة الارتكاز لهذه الحركة المتأرجحة[36]، بفضل مينائها الطبيعي، الذي يعد قاعدة مثالية للتموين[37]. وقد قال عنها تشرشل "يجب الدفاع عنها حتى الموت، دون أي تفكير في التراجع"[38]، وذلك أن سيطرة الإنجليز عليها، تعني أنهم سيملكون مفتاح الباب الغربي لمرسي البريقة[39]. إن طبرق تمثل مركز ثقل، والسيطرة عليه تتطلب حشد كل صنوف الأسلحة ضده، والقيام بالاختراق فيه وتوسيعه والاندفاع في الاختراق نحو الداخل، قبل ان يتاح للخصم الوقت للرد[40]. ونظراً لهذه الأهمية حرصت بريطانيا، لتأمين نفسها في مصر، على إحكام سيطرتها على طبرق، بجعلها مركزاً لمستودعات كبيرة، لأن فيها احتياطاً من المياه وميناءً مجهزاً ومحمياً، ومنع العدو من استخدامه[41]. وهكذا جعلت بريطانيا مواقعها الدفاعية تمتد من طبرق في سلسلة من (الصناديق) تتصل مع بعضها البعض بحقول ألغام ممتدة من الغزالة إلى بئر حكيم.

أما الجناح الواقع جنوب طبرق فكان مفتوحاً، تغطيه دوريات من السيارات المصفحة تدعمها الدبابات[42].

2- الغزالة:

موقع حصين لبريطانيا، وهي جبهة تعد أعجوبة تكتيكية، فهي تمتد من الساحل إلى بئر حكيم في قلب الصحراء، وطول خط المواجهة فيها أربعون ميلاً، يتكون خط الدفاع فيها من نقط محصنة محاطة بالألغام، أطلق عليها الصناديق الدفاعية، كما كانت بمثابة مواقع مقاومة[43].

3- بئر حكيم:

هي نقطة الارتكاز الجنوبية لخط بريطانيا الدفاعي في قطاع الغزالة، التي تحمي طبرق[44]، ومن ثم فبئر حكيم هو مفتاح جبهة الغزالة، بحيث إنه إذا سقط، تداعى خط الغزالة كله. وقد مثّل هذا الموقع العقبة الأولى أمام التقدم الألماني، وكان صموده يشكل خطراً على كل تقدم تقوم به القوات الألمانية، بتعريض جناحها للتهديد الدائم. ولهذا السبب كانت بريطانيا حريصة على حماية بئر حكيم. أما ألمانيا فكان سقوط هذا الموقع أمراً حيوياً بالنسبة لها، مهما كانت مخاطر الألغام من حوله[45].

4- مرسى البريقة:

اعتبرت البريقة في الحرب العالمية الثانية باب برقة كلها ومفتاحها، ولذا كان البريطانيون يبذلون ما في وسعهم لتقوية مواقعهم فيها، وخصوصاً المضايق المشرفة عليها، لما لها من أهمية استراتيجية[46]. من جهة أخرى كان مرسى البريقة نقطة البداية التي تقدم منها الألمان، ولاحت أمامهم في ذلك الوقت بوادر النصر من هناك، لكنهم توقفوا بعد هزيمتهم في نوفمبر 1941. ومن هناك انطلقت قواتهم مرة أخرى في يناير 1942، لشق طريقها إلى الإسكندرية في محاولة أخيرة. وكانت البريقة كموقع حصين عند الألمان لا يناظرها إلا موقع الغزالة عند الإنجليز[47].

5-المخيلي:

إذا كان مرسي البريقة قد اعتبر في الحرب العالمية الثانية باب برقة كلها ومفتاحها، فإن المخيلي كانت، في هذه الفترة، قلب برقة وحصنها الصحراوي المزود بالأبراج[48]، وقد كانت نقطة التقاء الطرق الصحراوية الموصلة إلى بنغازي[49]. ومن هنا فضل رومل طريق المخيلي على طريق بالبو، وهو الطريق الساحلي[50]. وقد فاجأ رومل الإنجليز بسلوكه طريق الصحراء، متوجهاً نحو المخيلي، التي وصفها بول كارل بأنها "قلب برقة وحصنها الصحراوي"، وكان هدف رومل ضرب مستودعات التموين البريطانية، لا سيما مستودعات الوقود، ثم الاتجاه

نحو مسوس، التي كانت فيها أكبر مستودعات التموين وخزانات الوقود المجهزة تجهيزاً حديثاً، يجعلها أشبه بالقلاع الحديثة في الحرب الميكانيكية. بيد أن الإنجليز تداركوا الأمر، وأحبطوا ما خطط له رومل، بنسفهم الخزانات الموجودة في مسوس[51].

6-مراوة:

تكمن أهميتها في أن الاستيلاء عليها، بالالتفاف حول المخيلي، يؤمن بنغازي من ناحية الشرق[52]، ومن ثم فهي وسْلنطة تعدان أهم محطتين تقعان على الفرع الجنوبي من الطريق الرئيس بين بنغازي ودرنة[53].

7-بنغازي: كانت قاعدة وميناء للتموين.

8-اجدابيا: منطقة توفر المياه الصالحة للشرب[54].

9-البردي: نقطة إسناد بري وبحري مهمة جداً[55].

10-واحة مرادة: منطقة أمامية قوية، احتلها الألمان والإيطاليون، وهي تمثل الجناح الأيمن لخط البريقة. يبلغ طول الطريق بينها وبين العقيلة 122 كم، وتكثر به المسطحات الرملية[56].

11-واحة جالو: احتلتها بريطانيا من نوفمبر 1941، وهي المركز الأمامي لرجال مجموعة الصحراء بعيدة المدى[57].

12-الكفرة: كانت قاعدة لمجموعة الصحراء بعيدة المدى.

13-جبال تبستي: هي المنطقة الأمامية في الجنوب بالنسبة لليبيا وفي الشمال بالنسبة لمنطقة بحيرة تشاد، وتعد بمثابة رأس جسر بين ليبيا وتشاد، وهي بذلك تمثل خطراً مباشراً على الصحراء الليبية، ومن ثم على خطوط المواصلات الألمانية من طرابلس إلى بنغازي، لذلك عمل الألمان على تأمين الحدود الليبية الجنوبية ضد أي هجوم من أفريقيا الوسطي بتدمير "حصن لامي" الذي يقع في منتصف افريقيا، وهو عبارة عن قلعة مدنية تقع في مفترق الطرق المهمة بين شاطئ الأطلنطي وميناء دوالا، في مفترق الطريق إلى الكونغو البلجيكية (سابقا) والجزائر في الشمال. كان هذا الحصن في 1942 مفتاح الطريق البري الممتد عبر المحيط الأطلنطي إلى مصر لتوصيل الإمدادات، ومن هنا اكتسب أهميته الاستراتيجية، من حيث هو مهم وحلقة اتصال لخطوط

عديدة من المواصلات، بما في ذلك الطريق إلى الشرق، الذي يمكن استخدامه على مدار السنة، ويمتد حتى نهر النيل. لأجل هذه القيمة قام الحلفاء بتعبيد الطريق، لكونه بعيداً عن متناول يد المحور. لكن الأخيرين فطنوا لخطورة هذا الموقع بالنسبة لخطوط مواصلاتهم، فوجهوا له ضربة جوية كبيرة وخطيرة، انطلقت من مطار هون في 20 يناير 1942، دمرت حصن لامي وما فيه من طائرات، كما أصيبت مباني المطار إصابات جسيمة[58].

13-طرابلس:

شكلت لبريطانيا الهدف الرئيس، بسبب مينائها الذي تفد إليه جميع الإمدادات القادمة من إيطاليا، ما عرضها لغارات بريطانية جوية وبحرية مكثفة[59].

وفي واقع الأمر كان لكل شبر من التراب الليبي، خلال الحرب العالمية الثانية، قيمته وأهميته الاستراتيجية المنظورة وغير المنظورة، الكائنة أو الكامنة، فإذا كان الساحل الليبي قد برهن على دوره المتوسطي المهم، فإن الصحراء برهنت بالفعل علي قيمتها، وأثبتت وجودها مكاناً ومكانة. وهكذا قيض لهذه التجربة أن تثبت قيمة ليبيا البالغة كموقع استراتيجي دقيق وكموقعة حربية مهمة.

إجمالاً لما تقدم يمكن استخلاص النقاط الرئيسة التالية:

أولاً : المد والجزر، حيث خضعت المعارك في شكلها العام لعملية المد والجزر، وهو شكل تقليدي، بين قوات المحور والحلفاء، ما بين قاعدة مصر شرقاً، وتونس غرباً. هذه الصورة هيمنت أثناء الصراع، فتناوب على ليبيا كل من الطرفين بالتبادل عدة مرات، تقدماً وتراجعاً، احتلالاً وإخلاءً؛ إذ تقدم المحور عدة مرات من ليبيا إلى ساحل مصر، بينما توغل الحلفاء بالدورة نفسها داخل ليبيا. ولئن كانت عملية المد والجزر قد اقتصرت غالباً على قطاع برقة، إلا أنها، في المرحلة الأخيرة من الحرب، شملت ليبيا كلها، من حدها الشرقي إلى حدها الغربي، وهي التي خرج فيها المحور نهائياً من ليبيا، ثم من باقي شمال أفريقيا فيما بعد. وبما أن هذا النمط الحربي كان أكثر تركزاً في برقة، فقد كانت مدنها، وخاصة طبرق، الضحية الكبرى.

ثانياً: المحور الأفقي، وهو خط الأداء الحربي لكل من الحلفاء والمحور؛ إذ اقتصر ميدان المعركة عملياً وغالباً على الممر الساحلي الضيق المحصور ما بين البحر والجبال، سواء في برقة أو طرابلس. هذا الطريق

الممدود أعطى، بل يمكن القول إنه فرض أو حدد، بشكله الجغرافي، نمطاً حربياً معيناً، مثل خطوط مستمرة، ترسم وتتبع خطى التقدم والتقهقر، وتحدد مراحل الغزو والاسترداد.

ثالثاً: المواقع المفصلية، فقد كانت ليبيا مسرحاً رئيساً للقتال، ودارت على أرضها المعارك المتعددة بلا انقطاع، فتعرضت هي للتخريب المباشر، نظراً لأهمية وخطورة بعض المناطق في ليبيا بالنسبة للقوى المتصارعة.

وقد تبين من هذا البحث أن هناك بعض المناطق اختيرت للعملية الحربية، إما بسبب موقعها الاستراتيجي، من حيث هي مناطق خطر، بحكم وقوعها على الحدود، أو لأنها أساساً نقاط قوية، توفر الحد الأقصى من إمكانات ومناورات الهجوم والدفاع. من هذه المواقع -على سبيل المثال-: طبرق، مرسي البريقة، بئر حكيم، الغزالة وغيرها. ومن هنا كانت أهم شروط مناطق الصراع أو الالتحام تدور حول مبدأ الاستراتيجية وحول فكرة التكتيك. ونتيجة لذلك لعبت المعارك التي دارت في هذه الجهات الدور الحاسم في نتيجة الحرب.

ومن هنا فإذا كان من الصحيح القول إن المعارك الفاصلة التي حسمت الصراع في الحرب العالمية الثانية وقعت خارج ليبيا، فإن من المرجح أن المواقع المفصلية داخل ليبيا هي التي حددت كيف ينتهي هذا الصراع، ولصالح من.

الهوامش :

1) علي فهمي خشيم، نصوص لبيية، ط2 (طرابلس، دار مكتبة الفكر، 1975) ص20.
2) الهادي مصطفى أبولقمة، سعد خليل القزيرى، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا ط 1 (بنغازى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1995) ص14- 15، حول الاسم انظر ص 13 وما بعدها.
3) عبد العزيز طريح شرف، جغرافية لبيا، ط 2 (القاهرة، 1971) ص9- 13.
4) الهادي مصطفى أبو لقمة، سعد خليل القزيري، الساحل الليبي، ط1 (بنغازي، منشورات مركز البحوث والاستشارات، 1997) ص18.
5) هنري أنيس ميخائيل، العلاقات الإنجليزية الليبية مع تحليل للمعاهدة الإنجليزية الليبية (مصر، الهيئة العامة للتأليف والنشر، 1970) ص 86 -93. انظر كذلك: الهادي أبو لقمة، الجماهيرية، مصدر سابق، ص19.
6) الهادي أبو لقمة، الجماهيرية، مصدر سابق، ص16-17.
7) جمال حمدان، الجمهورية العربية الليبية: دراسة في الجغرافيا السياسية، القاهرة، عالم الكتب، 1973، ص85.
8) المصدر نفسه، ص87، 98.
9) وليم سي اسكيو، أوروبا والغزو الإيطالي لليبيا (1911-1912)، ترجمة: ميلاد المقرحي، مراجعة عقيل البربار، (طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 1988) ص19.
10) جمال حمدان، مصدر سابق، ص28.
11) هنري أنيس ميخائيل، مصدر سابق، ص101، 102.
12) وليم سي اسكيو، مصدر سابق، ص17.
13) مصطفي عبد الله بعيو، المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا، (ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، 1975) ص52، 53، 54، 60، 62.
14) المصدر نفسه، ص 62، 63، 66، 67.
15) المصدر نفسه، ص 145-146.

16) الهادي أبو لقمة، الجماهيرية، مصدر سابق، ص15.

17) عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص8.

18) وليم سي اسكيو، مصدر سابق، ص17، 18. كذلك جمال حمدان، مصدر سابق، ص29.

19) رودلفو جراتسياني، نحو فزان، ترجمة: طه فوزي (القاهرة، مكتبة صايغ، 1976) ص 468 ،469.

20) المصدر نفسه، ص479، 480.

21) هنري أنيس ميخائيل، مصدر سابق، ص 98، 99.

22) انجبلو ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا، ج2، ترجمة: محمود على التائب مراجعة عمر محمد الباروني (طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين، 1995) ص 364 ،367.

23) هنري أنيس ميخائيل، مصدر سابق، ص119.

24) الهادي أبو لقمة، الجماهيرية، مصدر سابق، ص17.

25) أحمد محمد القلال، سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة 1939-1949، ط1 (بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 2003) ص139.

26) روبرت اليكسى، أشهر معارك الدبابات، ط1 (منشورات إدارة التوجيه المعنوي، 1976) ص147.

27) بوكا، مصدر سابق، ص424.

28) ديسموند يونج، رومل ثعلب الصحراء، ترجمة: المهدي سعد الأبيض (بنغازي، الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع) ص124 وما بعدها.

29) اميل وانتي، فن الحرب من الحرب العالمية الثانية والاستراتيجية النووية، ط1، ترجمة: أكرم ديري، الهيثم الأيوبي، (بيروت، دار القلم، 1973) ص174، 353.

30) روبرت اليكسي، مصدر سابق، ص 26.

31) المصدر نفسه، ص32. كذلك: ديسموند يونج، مصدر سابق، ص 86 -87.

32) رمضان لاوند، الحرب العالمية الثانية، ط 7 (بيروت، دار العلم للملايين، 1979) ص106|. كذلك: ديسموند يونج، مصدر سابق، ص96.

33) بول كارل، ثعلب الصحراء، ج2، ط1 (بيروت، دار القلم، 1969) ص298.

34) رمضان لاوند، مصدر سابق، 139.

35) المصدر نفسه، ص140. كذلك: أحمد القلال، مصدر سابق، ص74.

36) ميشيل كارفر، معارك طبرق، (إدارة التوجيه المعنوي،) ص9.

37) عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص251.

38) يول كارل، ثعلب الصحراء، ج1، ط1 (بيروت، دار القلم 1969) ص27.

39) ميشيل كارفر، مصدر سابق، ص10.

40) بول كارل، ثعلب الصحراء، ج1، مصدر سابق، ص136.

41) رمضان لاوند، مصدر سابق، ص135. كذلك: ميشيل كارفر، مصدر سابق، ص11.

42) روبرت اليكسي، مصدر سابق، ص147.

43) ديسموند يونج، مصدر سابق، ص111.

44) اميل وانتي، مصدر سابق، ص291.

45) بول كارل، ثعلب الصحراء، ج2، مصدر سابق، ص278.

46) المصدر نفسه، ج1، ص18.

47) المصدر نفسه، ج2، ص464.

48) المصدر نفسه، ص26.

49) أحمد القلال، مصدر سابق، ص49.

50) بول كارل، ثعلب الصحراء، ج1، ص24.

51) المصدر نفسه، ص25.

52) المصدر نفسه، ص202.

53) عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص259.

54) بول كارل، ثعالب الصحراء، ج1، ص23.

55) أحمد القلال، مصدر سابق، ص49.

56) عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص272.

57) بول كارل، ثعلب الصحراء، ج1، ص179.

58) المصدر نفسه، ص212-218.

59) بوكا، مصدر سابق، ص404.

الأهمية الاستراتيجية لليبيا خلال الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945

مقدمة

يطرح هذا البحث فرضية مفادها "أن ليبيا، بحكم موقعها الجغرافي المهم، كانت مستهدفة استعمارياً عبر العصور، عدا استثناءات قليلة، من جهة أن استراتيجية المكان، بكل تناقضاته وعلى الرغم منها، ينبئ عن مواطن قوة كامنة فيه، وهو ما مثل عامل جذب للقوى الخارجية، كي تتعامل معه بشكل أو بآخر، خلال مراحل التاريخ المختلفة.

في العصر الحديث، أثناء الصراع بين القوى الأوروبية الكبرى، في الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، زاد الاهتمام بهذا الموقع الاستراتيجي إلى درجة كبيرة، ما يحفز على طرح بعض الأسئلة المهمة في هذا الصدد، هي: ما أهمية موقع ليبيا الجغرافي؟ وماهي مواطن القوة والجذب والخطورة في المكان؟ وكيف تم استغلال هذا الموقع، خلال مراحل التاريخ المختلفة، حتى الحرب العالمية الثانية؟ هذه الأسئلة وغيرها سيعنى هذا البحث بالإجابة عنها، مع ملاحظة أن الجزئية المتعلقة بالمعارك الحربية في الحرب العالمية الثانية، سيتم تناولها بشكل عام ومختصر، نظرا لتوفر المادة المتعلقة بها. ومن ثم فإن ما سيطرح هنا بخصوص ذلك ليس سرداً تاريخياً، بقدر ما هو أساسا لتأكيد أهمية المكان خلال هذه الفترة، التي تمثل، في حقيقة الأمر، إحدى مراحل الصراع الاستعماري الاستراتيجي في ليبيا وعليها.

إن الغرض الأساسي من هذه الدراسة هو إبراز قيمة موقع ليبيا وأهميتها التاريخية. ووفقاً لذلك سيتم تناول موضوع: "أهمية ليبيا الإستراتيجية خلال مراحل الصراع الاستعماري، مع التركيز علي مرحلة الحرب العالمية الثانية"، على ضوء المحاور التالية:

4-موقع ليبيا الجغرافي وأهميته.

5-البعد التاريخي لأهمية ليبيا الاستراتيجية.

6-استغلال القوى الكبرى موقع ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية.

أولاً - موقع ليبيا الجغرافي وأهميته:

تعد ليبيا، بحكم الجغرافيا السياسية وبمقاييسها، دولة قديمة، فمنذ عرف الإغريق القدماء الأرض التي ذكرها لنا "هيرودوت" باسم ليبيا[1]، والعالم يتعامل معها كوحدة كجغرافية متميزة تقدم وعاءً طبيعياً، فعلياً أو ممكناً،

لوحدة سياسية منفردة، مهما كان نصيب هذا المحتوى من القوة والوزن، أو حظ حدوده من الوضوح والتبلور[2]. قد تكون تلك الوحدة ضئيلة الحجم والثقل كثيراً أو قليلاً، وقد تختفي تماما حتى تتمزق وتتقاسم أحيانا ، ولكنها تعود دائماً إلى الظهور، وتفرض نفسها حتى على المستعمر الخارجي، وأيضاً على أبنائها أنفسهم في الداخل.

فبين كتلة المغرب في الغرب، ووادي النيل بمصر وحوضه في الشرق، وإلى الجنوب من الحوض الأوسط للبحر المتوسط، تمتد مساحة شاسعة، طولها مئات من الأميال، وعرضها بضعة مئات أخرى، تألفت بهذا الامتداد وحدة إقليمية منفصلة عن كل منها، ومن ثم يمكن اعتبارها منطقة جغرافية قائمة بذاتها، ثم هي، وإن اشتركت معهما في القطاع الأكبر من الصحراء، التي هي بحد ذاتها عامل فصل أولي، إلا أنها تختلف بقطاعها الفعال عن كل منهما اختلافات متفاوتة، ولكنها أساسية، سواءٌ في البنية أو البيئة أو في الجوانب الطبيعية أو في النواحي البشرية.

ومن هذين العاملين استمدت ليبيا كياناً تلقائياً منفرداً ومستقلاً، سواء إقليمياً، كمنطقة جغرافية، أو سياسياً، كوحدة سياسية، ومن ثم كان هذان العاملان نفساهما هما أيضا نقطتا القوة الحقيقيتان في الوجود الليبي، فهما اللتان ضمنتا قيامه أولاً، ثم بقاءه ثانياً، عبر التاريخ، مهما كانت الظروف والعقبات الأخرى الجغرافية والتاريخية. وإذا كان شريط برقة وطرابلس هو نواة ليبيا جغرافياً، فإنه أيضاً نواتها التاريخية، فمن هنا نشأ الوطن السياسي الليبي في القديم، ومنها توسع بالتدريج نحو الجنوب حتى اكتسبت رقعتها الجغرافية الحالية[3].

كانت منطقتا برقة وطرابلس موطناً لتنظيمات سياسية مبكرة، قبلية أو اتحادات قبلية، ثم لمستعمرات من وراء البحر، متصلة كالعقد جغرافياً، أو متقطعة مستقلة، أو تابعة، ولكنها كانت دائماً تمثل بذرة الكيان السياسي في المنطقة. وبينما كانت هذه التنظيمات السياسية ترتكز إلى قاعدتها الأرضية الراسخة بمواردها الزراعية، كانت تجمع إليها منذ أقدم العصور موارد البحر، ورعي الصحراء، والأهم من ذلك أنها كانت تستثمر موقعها الجغرافي بين البحر والصحراء في الوظيفة التجارية، فكانت مجمع طرق القوافل الصحراوية من الجنوب، وطرق الملاحة البحرية من الشمال[4]. وفي هذا ما يدل علي التوسع التدريجي، ولكن باستمرار من الشمال إلى الجنوب، حيث كان الظهير الصحراوي، وخاصة فزان، أقدم ارتباطاً بالشمال، ففزان كانت مرتبطة بصورة ما سياسياً بالشمال، وهو ما نجده بشكل واضح في العصور الوسطي المتأخرة، خلال العهد العثماني على سبيل المثال. هذا الارتباط، سواء بالتجارة المستمرة أو بالغزو، من فترة إلى أخرى، من قبل الجنوبيين، أبرز تلقائية ترابط برقة

وطرابلس وفزان في إطار إقليمي سياسي واحد. وبهذا تحددت رقعة ليبيا السياسية من إقليمين جغرافيين: إقليم ساحلي متوسطي، وظهير صحراوي داخلي في الجنوب، يوفر الحماية، كما يفرض العزلة. وأهم ما يميز هذه الرقعة الجغرافية هو الانتظام والاندماج الشديد. وهذا ما جعل من ليبيا رقعة سياسية منتظمة، فالحدود الشرقية والغربية عمودية على الساحل أو شبه عمودية، كما هي شبه متوازية، والحدود الجنوبية بدورها توازي خط الساحل في الشمال. كما تملك ليبيا ساحلاً طويلاً، يبلغ طوله 1900 كم تقريباً، وهو ما وفر لها نافذة كبيرة تطل على البحر الأبيض المتوسط.

ما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق أن حدود ليبيا السياسية قد حددت وفق صراع المصالح بين القوى الأوروبية المستعمرة في المنطقة، وما يفرضه هذا الصراع من توازنات ونتائج، فقد كانت كل قوة تسعى إلى توسيع رقعة نفوذها إلى أقصى حد ممكن، ومن ثم كان لعملية المد والجزر بين هذه القوى انعكاسٌ على الحدود، إما بالتوسع أو بالانكماش، وذلك خلال مرحلة ما بعد مؤتمر برلين[5]. وهذا يعني أن حدود المنطقة هي من صنع الاستعمار.

ومهما يكن من أمر فقد مثلت الحدود إطار الدولة السياسي، كما شكلت خطوط توازن القوة السياسية، وجبهات التحام الضغوط السياسية على جانبيها، وبهما تحددت المداخل والنقط الاستراتيجية الحاسمة، فحدود ليبيا تتاخم ست دول، منها اثنتان غير عربيتين، هما تشاد والنيجر، وأطول حدود لها هي تلك المشتركة مع الجزائر، تليها الحدود مع مصر، التي تكاد تعادل طول الحدود مع تشاد. ولا تزيد الحدود مع تونس عن حدودها مع السودان كثيراً، من حيث الطول، إلا أنهما تختلفان تماماً في الرسم والطبيعة والعمران والقيمة الاستراتيجية. أما أقصر الحدود فهي المشتركة مع النيجر.

في هذا الإطار يكتسب الخط الحدودي الساحلي الليبي مع تونس قيمة استراتيجية كبرى، فبه يتحدد المدخل الغربي الاستراتيجي والتاريخي لليبيا. كما أن حدود ليبيا مع الجزائر حدود مهمة ذات قيمة استراتيجية، سواء في قطاعها الشمالي أو الجنوبي[6]. أما الحدود الجنوبية، وهي المشتركة مع تشاد والنيجر، فقد عانت من التأرجح ما بين الشمال والجنوب، بسبب الضغوط السياسية، سواء من الجنوب أو الشمال، حتى انتهت إلى ما هي عليه، بموجب اتفاقية 1935 بين إيطاليا وفرنسا، التي لم يتم التصديق عليها[7]. وفيما يخص الحدود الليبية مع مصر فهي أطول حدود لليبيا مع شقيقات عرب، ومرت عملية تحديدها بمشكلات سياسية معقدة. وتعد الحدود مع

مصر ذات أهمية استراتيجية، لكونها مدخل مصر الغربي، ومدخل ليبيا الشرقي لليبيا. ولئن كانت بوابة هذا المدخل تقع بعيداً داخل القطر المصري، إلا أن امتدادها الليبي يمثل وحدة استراتيجية متصلة، كما تشهد الحرب العالمية الثانية بشكل خاص.

تلخيصا لما سبق نقول إن ليبيا، إذا كانت تتوسط ساحل البحر المتوسط الجنوبي، فإنها تتوسط العالم العربي الأفريقي. وإذا كانت تتألف من الداخل من نطاق متوسطي، فإنها تضم أيضاً قطاعاً صحراوياً. وإذا كانت تطل على البحر المتوسط، ومن خلفه على أوروبا شمالاً، فإن ظهيرها الصحراء الكبرى، ومن ورائها السودان الأفريقي وأفريقيا المدارية جنوباً.

ولما كان ما ذكر هو الإطار الحدودي لموقع ليبيا الجغرافي، فإن موقعها السياسي حددته ميزتان مهمتان، لا تخرجان كما أنهما لا تنفصلان عن التركيب الجغرافي للموقع: الأولي إطلالة ليبيا على البحر المتوسط البالغ الأهمية والخطورة، وارتباطها بقواه منذ فجر التاريخ، وفي كل الاتجاهات، وعلى كل المحاور. والثانية، وهي لا تقل أهمية أو تأثيراً عن الأولى، فإنها تتمثل في وقوع ليبيا في منطقة بين مصر والمغرب. وبهذا الوضع (البيني) أصبحت تشكل بالضرورة ممراً أو جسراً ممتداً بين قطبين هما: مصر والمغرب، وهو ما كان له تأثيره السياسي والحضاري عليها. وهذا ما يكشف عنه بعدا ليبيا: المغرب والمشرق، فالأول يمثل خط الحياة والتعمير، الذي استمدت منه ليبيا سكانها وحضارتها، ومن الثاني استمدت عروبتها وإسلامها (الثقافة والعقيدة)، ثم قدمتهما إلى المغرب[8].

ثانياً: البعد التاريخي لأهمية ليبيا الاستراتيجية:

أثار موقع ليبيا انتباه عدد من المستكشفين، لكن أهم رحلة كشفية هي تلك التي قام بها المستكشف الألماني رولفس" Rohlfs"، بين سنتي 1864 ،1879، والتي لاحظ فيها أن قيمة ليبيا تفوق قيمة تونس بأكثر من عشر مرات. كما علق رحالة ألماني آخر هو سشو وينفورت SChweinfurth على موقع طبرق، ووصفها بأنها الميناء البحري الذي سيؤكد تفوق البحر المتوسط[9].

هذه الإشارات تظهر، بلا شك، أهمية ليبيا، التي كانت سبباً في تعرضها، خلال تاريخها الطويل، لسلسلة من عمليات الاستعمار، التي تتابعت حلقاتها بلا انقطاع تقريباً، باستثناءات قليلة، كان أبرزها التاريخ المصري

القديم، والفتح العربي. وقد أصبحت ليبيا، نتيجة لهذا، معرضة في الأعم الأغلب للخطر الخارجي، الذي تمثل فيما يلي:

- الاستعمار البحري:

على الرغم من أن الأخطار الخارجية كانت أحياناً تأتي من الجنوب والصحراء، منذ أقدم غارات "الجنوبيين"، حتي أحدث ضغوط الفرنسيين، فإن مصدر الخطر الأساسي كان دائماً من الشمال والبحر. ولذا كان الاستعمار الأكثر بروزاً هو الاستعمار البحري، فمن البحر المتوسط، سواء على طول سواحله الأفريقية، يميناً ويساراً، أو من وراء ساحله المقابل شرقاً وغرباً، جاءت معظم دورات الغزو أو الاستعمار. هذه الحقيقة المنطقية إنما تعكس مركز البحر المتوسط عبر التاريخ كبؤرة القوة في العالم القديم. ونتيجة لهذا كان الاهتمام منصباً على منطقة البحر المتوسط بشكل عام، وعلي ليبيا بشكل خاص، لأهمية إطلالتها عليه. ومما يدل على هذه الأهمية أن مصدر الخطر الخارجي المتوسطي، الذي تعرضت له ليبيا، قد اتخذ حركة ذات نمط جغرافي محدد يشبه المروحة(10).

فمن مصر القديمة، على امتداد الساحل الشرقي أولاً، إلى فينيقيا الشام، إلي اليونان، ثم روما، استدار السهم في دورة مروحية، عكس عقارب الساعة، أي من الشرق إلى الغرب باضطراد، خلال العصور الوسطي القديمة والكلاسيكية، ثم تكرر النمط نفسه تقريباً في دورة أخرى، خلال العصور الوسطي والحديثة، فمن الجزيرة العربية مع الفتح العربي، إلى الدولة العثمانية بعد ذلك، إلي إيطاليا في النهاية.

من مجموع هاتين الدورتين نرى أيضاً أن الخطر البري والبحري الذي واجهته ليبيا إنما أتى أساساً من الشرق، ومن الحوضين الشرقي والأوسطي للبحر المتوسط، بساحليه الشمالي والجنوبي. أما الحوض الغربي فقد كانت المؤثرات الخارجية فيه ثانوية للغاية، ومتأخرة زمنياً، ومحدودة سياسياً. ولعل هذا الفارق يعكس علاقات ليبيا الطبيعية من حيث موقعها الجغرافي في حوض البحر المتوسط.

وقد كان موقع ليبيا الجغرافي المهم هذا بين البحر المتوسط والصحراء الكبرى، أي بين البر والبحر، سبباً في تعرضها لاستعمار، تراوح أساساً بين استعمار استيطاني واستعمار استراتيجي: فالاستعمار الاستيطاني تمثل في كل من الاستعمار الفينيقي والإغريقي، أما الاستراتيجي فكان الاستعمار الروماني، ثم الوجود العثماني. ومما

له مغزاه في هذا الصدد أن الاستعمار الإيطالي جمع أو حاول الجمع بين هذين الطابعين أو الطبيعتين. وازدواج الأغراض هنا انعكاس لمناخ ليبيا في شريطها المتوسطي، بإمكاناته السكنية الضعيفة، ثم موقعها بين البحر والبر، فقد أسهم هذا الموقع الفذ في اتساع أحلام إيطاليا الإمبراطورية، التي تبدأ من تونس وليبيا، ولا تنتهي إلا في الصومال واليمن. وبذلك تضم الإمبراطورية الإيطالية كل مناطق نفوذ الاستعمار البريطاني في حوض النيل: مصر والسودان، إلى جانب القرن الأفريقي، كما يرتكز هيكلها علي البحرين المتوسط والأحمر[11]. ومن هنا كانت ليبيا، من المنظور الإيطالي، هي مفتاح الإمبراطورية، لأنها تمثل نموذجاً مثالياً للاستعمار الاستراتيجي، فهي لا تتوسط ساحل البحر المتوسط الجنوبي في مواجهة إيطاليا مباشرة فحسب، ولكنها تقع أيضا بين الاستعمار البريطاني في شمال شرق أفريقيا، والفرنسي في شمالها الغربي. ولهذا فهي تعد نقطة وثوب من القاعدة الأم، وموطئ قدم على اليابس الأفريقي، وهو ما يجعل منها رأس حربة داخل محيط الاستعمار القديم، ويمكن إيطاليا من التحرك من هذه القاعدة يميناً ويساراً[12].

في هذا الإطار يجب ألا ننسى قيمة الجنوب الليبي، وتحديداً واحة الكفرة، بالنسبة للاستعمار الإيطالي، فأهمية الكفرة الإستراتيجية لا تقل عن أهمية الساحل الليبي، بالنسبة لها، من حيث أن هذه الواحة يمكن أن تتخذ قاعدة وحيدة وسط الصحراء، ونقطة وثوب إلى السودان من الجنوب.

ومن هنا يمكن القول إن الاستعمار الإيطالي كان، في حقيقته، استعماراً استراتيجياً، استعمار مواقع وقواعد عسكرية وموقع جغرافي.

إذا كان ما ذكر مثل الجانب الإيجابي لموقع ليبيا بالنسبة لإيطاليا، فما هو جانبه السلبي؟

تمثل هذا الجانب فيما لعبته البيئة الجغرافية والمعاقل الجبلية من دور رئيس في حركة الجهاد الليبي ضد الاستعمار الايطالي، فقد كانت طبيعة المسرح الجغرافي بيئة مواتية للمجاهدين الليبيين، بينما لم تكن كذلك لقوات العدو النظامية، وخاصة الميكانيكية. وفي الوقت نفسه كان الظهير الصحراوي الشاسع يمثل عمقاً استراتيجياً لقوات المجاهدين، وكان هذا الامتداد السحيق يرهق القوات الميكانيكية، إن لم يشلها تماماً في كثير من الأحيان.

وهكذا يتضح لنا مدى أهمية وقيمة جغرافية المكان، سواء في حالة الاستعمار أو في حالة التحرير.

في هذا السياق نفسه، نتناول نقطة مهمة وخطرة في آن واحد، وترتبط بشكل جذري بمزايا موقع ليبيا الجغرافي وأهميته الاستراتيجية، ألا وهي محاولة توطين اليهود في ليبيا.

في هذا الخصوص يذكر الأستاذ مصطفي عبد الله بعيو في كتابه (المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا) ما مفاده أن من المناطق التي كانت مقترحة من قبل الدولة العثمانية لتوطين اليهود في ليبيا منطقة سرت. فهي كما هو معروف تعد حزءاً مهما من ليبيا، بحكم الموقع الجغرافي لإقليم سرت، وأهميته بالنسبة لبقية أجزاء ليبيا، من حيث إنه يمثل حلقة وصل بينها، فضلاً عن أهمية سرت من حيث الإمكانيات الرعوية وتربية الحيوانات. من جهة أخرى كان هناك اقتراح آخر قدمه الوالي رجب باشا [1904-1909] لناحوم شلوش، الذي مهد لقدوم البعثة العلمية لدراسة أحوال برقة، وكان هو العنصر اليهودي الوحيد ضمن أعضاء البعثة، لزيارة منطقة مسلاته، للتعرف علي إمكانياتها. ومسلاته منطقة لا تبعد كثيراً عن البحر المتوسط، وهي بحكم قربها من مدينة الخمس البحرية يمكنها الاستفادة منها في الاتصال بالخارج، كما أن هذه المدينة معروفة بتلالها وكثرة أشجار الزيتون بها[13]. كذلك كان من ضمن المقترحات منطقة الجبل الأخضر. وعلى ضوء ذلك أرسلت (منظمة الأراضي اليهودية) برئاسة إسرائيل زانجويل بعثة علمية إلى منطقة الجبل الأخضر، لدراسة إمكانية الاستفادة من برقة كوطن قومي لليهود. وقد وجدت المنظمة أن برقة تمتلك إمكانيات طيبة صالحة للاستعمار، وذلك لأنها تتمتع بموقع جغرافي مهم، يطل على البحر المتوسط، الطريق المائي المهم للمواصلات العالمية، كما أنها، بحكم قربها من أوروبا، تجعل الاتصال ميسوراً لليهود في وطنهم الجديد بالثقافة الأوروبية بصفة عامة، واليهودية الأوروبية بصفة خاصة. إضافة إلى أن قرب برقة من أوروبا يعطي اليهود فيها دفاعاً ضد أي عنف قد يتعرضون له في وطنهم الجديد، ناهيك عن أن برقة تمتلك أراضى داخلية واسعة تعطي مجالاً أكبر لاستيعاب اليهود وإيوائهم.

لكل ذلك اعتبرت برقة أو منطقة الجبل الأخضر في كل الأحوال، سواءٌ جغرافياً أم طبيعيا أم اقتصادياً، هدية إلهية للاستعمار اليهودي بصفة خاصة، على حد تعبير رئيس المنظمة إسرائيل زانجويل[14].

وعلى أية حال، لم يكتب لهذه المحاولة النجاح، بسب جملة من العقبات، ليس هنا مجال ذكرها، لكن ما يمكن قوله أن محاولة توطين اليهود في ليبيا تكررت مرة أخرى، بعد الحرب العالمية الثانية، وهزيمة إيطاليا أمام الحلفاء، وذلك عندما أثار ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا موضوع إمكانية الاستفادة من إحدى

المستعمرات الإيطالية السابقة كوطن لليهود، فهو، كما يقول الأستاذ مصطفي بعيو، وإن لم يذكر ليبيا صراحة، إلا أن الشواهد التاريخية تشير إلى ذلك[15].

ومهما يكن من أمر فقد كان الاستعمار في ليبيا، كقاعدة عامة، استعماراً ساحلياً في المراحل المبكرة، بمعنى أنه كان يتركز أساساً، إن لم يقتصر تماماً، على الشقة الساحلية المتوسطة، دون أن يتغلغل كثيراً في الداخل[16]. فقد رأينا كيف ارتبط الاستعمار الفينيقي والإغريقي بشدة بالساحل، حتى ليمكن القول إنه كان استعماراً مدنياً بالدرجة الأولى. أما في المراحل الأحدث فقد اتسع الوجود الاستعماري، وتعمق أكثر في الصحراء، كما حدث في العهد الروماني إلى حد ما، ثم في فترة الفتح العربي، ثم زاد في هذا الاتجاه في عهد العثمانيين؛ إذ انجذبت الدواخل إلى دائرة نفوذ المراكز الساحلية[17].

ولاستكمال ملامح صورة البعد التاريخي لأهمية ليبيا الإستراتيجية، يجدر بنا أن نبرز أهم سماتها، التي تكاد أن تكون قد انحصرت في عملية الاقتسام الثنائي. فقد اقتسمت ليبيا مراراً وتكراراً بين أكثر من قوة خارجية أو استعمار أجنبي في وقت واحد. وكان هذا الاقتسام عادة ما ينصرف إلى برقة وطرابلس في المقام الأول. ومن الأمثلة علي ذلك: برقة الفرعونية، مقابل طرابلس الفينيقية، وبرقة الإغريقية مقابل طرابلس القرطاجنية، وبرقة البطلمية مقابل طرابلس الرومانية، وبرقة البيزنطية مقابل طرابلس الرومانية، وبرقة فارس مقابل طرابلس الوندال، وبرقة الفاطمية مقابل طرابلس الأفريقية، وأخيرا برقة العربية مقابل طرابلس النورمان والأسبان[18].

هذه الصورة تعبر بشكل ما عن تركيب أصيل في كيان ليبيا الطبيعي، هو بلا شك الثنائية الإقليمية بين هاتين الجزيرتين المتباعدتين، اللتين تفصل بينهما رقعة صحراوية شاسعة.

ولكن على الرغم من هذا الاقتسام الثنائي، فقد عرفت ليبيا الوحدة الاقليمية منذ وقت مبكر نسبياً، على الأقل منذ عهد الرومان، ثم زادت أبعاد هذه الوحدة وتعمقت بعد ذلك باستمرار، لا سيما تحت الحكم العثماني، وتحديداً منذ عهد يوسف القرمانلي، الذي أرسل حملة في 1811 للاستيلاء على فزان، بقيادة محمد المكني. وكانت هذه الوحدة، وحدة النطاق المتوسطي والظهير الصحراوي، تعني ضم طرابلس وبرقة لفزان وبقية الصحراء المجاورة[19]. وهذا، إن دل هذا علي شيء، فإنما يدل على أساس طبيعي واحد في النهاية، يجعل من ليبيا وحدة إقليمية وسياسية تلقائية.

ثالثاً – استغلال القوى الكبرى موقع ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية:

إذا كانت ليبيا بموقعها الفذ تبدو أسعد حظاً من كثير من الدول الأخرى، فإنها من الناحية الأخرى كانت بلا شك أسوأ حظاً من كثير من الدول الأخرى، من حيث أنها تلقت ضربة الاستعمار في أشد صورها ضراوة ووحشية، فمأساة ليبيا تمثلت في أنها، على الرغم من قصر عمر الاستعمار بها، قد تحملت ضراوة الفاشية لأول مرة في تاريخ الاستعمار الحديث، فقد اجتمع في ايطاليا الاستعمار والفاشية والإمبريالية والديكتاتورية. وفي ليبيا الإيطالية اجتمعت كلها لأول مرة مع الاستعمار الاستراتيجي والاستيطاني، ولهذا كانت مأساة ليبيا لا تقارن بغيرها من الدول، مثل الجزائر من قبل، وربما فلسطين من بعد.

لكل هذا أصبحت ليبيا، عندما قامت الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، مسرحاً للصراع بين القوى الكبرى، فقد كانت إيطاليا تبدو كقوة عظمى تهدد القوى الكبرى القديمة، مثل بريطانيا وفرنسا، بالسير في خطتها الإمبراطورية المزعومة[20]، بجعل ليبيا قاعدة للزحف يميناً ويساراً، في اتجاه مصر وتونس. ومن أجل ذلك قامت بتدعيم حدود ليبيا السياسية، كما أقامت شبكة استراتيجية في الداخل تخدم التوسع المنتظر للإمبراطورية الإيطالية الحلم[21]، فمدت الطرق المهمة التي سيتم من خلالها الزحف، ومنها الخط الرئيس، أي الطريق الساحلي الممتد من مصر شرقاً إلى تونس غرباً الذي افتتحه موسوليني أثناء زيارته لليبيا في الفترة 10-22 مارس 1937، وقد كان للزيارة هدف آخر هو إظهار صيرورة ليبيا الفعلية كقاعدة مهمة في لعبة الصراع بين القوى المتقابلة في البحر المتوسط، وهو ما ينسجم مع رؤية بالبو مهندس هذا الطريق، فقد كان بالبو مقتنعاً بأن انتماء المنطقة الساحلية في ليبيا إلى عالم البحر المتوسط أعظم بكثير من انتمائها إلى العالم الأفريقي[22]. ومع ذلك فلم تهمل إيطاليا جنوب ليبيا، فعملت، لأسباب عسكرية محضة، على شق طريق الكفرة، للاستفادة من الواحة كقاعدة استراتيجية في الصحراء، يمكن الوثوب منها إلى السودان وغيره.

لم تقف استراتيجية الاستعمار الايطالي عند هذا الحد، بل كثف من وجوده في مصر قبل الحرب العالمية الثانية، وكان هدفه من ذلك أن تصبح مصر قاعدة للزحف على السودان، وهو ما من شأنه أن يمكن إيطاليا من السيطرة على حوض النيل برمته، من منابعه في أثيوبيا والبحيرات إلى مصبه في مصر، وبذلك تصل ما بين مستعمراتها في شمال أفريقيا وكتلة مستعمراتها في "أفريقيا الشرقية الإيطالية: أريتريا وأثيوبيا والصومال الإيطالي".

انعكس هذا المخطط الإيطالي بالضرورة على ليبيا، لاسيما أن القوى الاستعمارية الأخرى، كبريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها، كانت لها هي أيضاً أطماعها ومصالحها وأهدافها الاستراتيجية الخاصة بها.

بيد أن تعارض المصالح والغايات بين هذه القوى الكبرى أدى، بطبيعة الحال، إلى الصدام المسلح فيما بينها، فكان أن تحولت ليبيا إلى مسرح للصراع الدموي الدولي في الحرب العالمية الثانية؛ إذ تحالفت إيطاليا مع ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا اللتين أعلنت إيطاليا الحرب عليهما في 10 يونيو 1940[23].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: كيف تم استغلال موقع ليبيا في الحرب العالمية الثانية؟

للإجابة عن هذا السؤال يمكن القول إن الصراع بين القوى الاستعمارية الكبرى في الحرب العالمية الثانية كشف عن جوهر استراتيجية موقع ليبيا وجغرافيته، وهذه نقطة في غاية الأهمية، لا بد من تناولها بشيء من التفصيل؛ إذ ترتّب عليها نمطٌ معين من العمليات الحربية، وأبرزت مواقع حيوية كمفاتيح استراتيجية، تحكمت في معركة ليبيا في الحرب العالمية الثانية، من حيث إنهاء الصراع ولصالح من.

فقد برزت أهمية حجم ليبيا في الحرب العالمية الثانية من حيث المساحة، فرقعة ليبيا الشاسعة، التي تعد من أكبر دول أفريقيا جميعاً في المساحة[24]، شكلت عاملاً مؤثراً في نمط العمليات الحربية، كما كان لإطاري الدولة الحدوديين، الشرقي والغربي، نفس الأهمية والتأثير، إلى جانب قيمة الداخل الصحراوي في كونه قوة موقوتة مدخرة، إن جاز التعبير لتحوله إلي حقول ألغام.

من المعروف أن المساحة المطلقة هي نقطة سياسية أساسية في حد ذاتها، ومهما كانت طبيعتها الظاهرية أو محتواها، فمطلق المساحة عمق استراتيجي مهم وحاسم، وشرط للحماية، خاصة في عصر الطيران والأسلحة الحديثة الأخرى، فكان أن استغلت هذه المساحة الشاسعة من الساحل والصحراء من قبل القوى المتصارعة، للدفاع عن مصالحها الحيوية ومناطق نفوذها، وذلك بأن ملأتها بالقوات التي يربو عددها على المليون ونصف المليون جندي، مزودين بمختلف الأسلحة الحديثة، ما سبب حدوث 3128 غارة جوية وهجوماً بحرياً و127 معركة وعمليات حربية أخرى[25].

ولكن من جهة أخرى شكل عنصر المساحة خطورة بالنسبة للقوات المتحاربة، وذلك من حيث إن الامتداد الشاسع كان عقبة أمام عملية الإمداد والتموين، مع طول الزحف وامتداد التقدم، فقد كانت خطوط الإمداد طويلة

بالنسبة للجانبين، إضافة إلى ما قد يعترضها من معوقات، كالهجمات الجوية والبحرية التي تعرقل عملية الإمداد البري[26]. وكان الأمر كذلك أيضاً في حالة الانسحاب، فقد كان طول المسافة يمثل مجازفة بالنسبة للقوات المنسحبة، لأنها تصبح أكثر تعرضاً من الخلف لضربات العدو.

وفيما يتعلق بالحد الشرقي لليبيا، نجد أنه من أطول الحدود بين العرب عموماً؛ إذ يبلغ طوله 1494 كم، منها 1094 كم مع مصر، و400 كم مع السودان، ولهذا كان هذا القطاع بين مصر وليبيا برمته يستمد خطره من الناحية الإستراتيجية، فكما هو مدخل مصر الغربي، هو مدخل ليبيا الشرقي. وإذا كان مفتاحه الحرج يقع داخل الجانب المصري، فإن امتداده الليبي يمثل وحدة استراتيجية متصلة، كما تشهد على ذلك الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة.

ينقسم هذا الحد من الناحية الطبيعية إلى ثلاثة أقسام من الشمال إلى الجنوب، كل منها يشكل خطاً حربياً مهماً، فشريط السهل الساحلي مهم لسهولته، ووعورة خط المنخفض الواحي لا تشكل عقبة أمام الحركة الميكانيكية. أما الأخير فقد جعلته رخاوة الأرض في الهضبة الجيرية إقليماً قليل الأهمية.

أما حد ليبيا الغربي مع تونس، حيث يضيق الساحل بين سلاسل المرتفعات الساحلية والبحر، فنجد أنه بمثابة بوابة تحدد المدخل الغربي الاستراتيجي والتاريخي لليبيا. ولهذه الأهمية أنشأ الفرنسيون خط مارت ضد الخطر الإيطالي في ليبيا على تونس، الذي استعمله الفيلق الألماني في الحرب العالمية الثانية في مواجهة زحف الحلفاء الأخير وتحصن فيه[27].

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى الداخل الصحراوي لليبيا، فقد كان حقل ألغام أكثر منه حقل قتال؛ ما أدى إلى حصر المعركة في الجزء الساحلي، وجعل مصير الداخل العسكري يتقرر على ضوء نتيجة معركة الساحل.

علي أية حال كان سير المعارك تتحكم فيه عادة طبيعة الأرض وكيفية الاستفادة من جغرافيتها، إضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بأعداد القوات والوضع العام وشخصية القائد[28].

وما يهمنا في هذا الصدد أن ليبيا فرضت بمساحتها وطبيعتها نمطاً حربياً معيناً، ظهر في سيولة معركة الصحراء، وهو ما تمثل في عملية المد والجزر[29]. وقد صار النمط طريقة مأثورة اتبعتها الدول المعتدية في هجماتها على طول المنطقة الممتدة من مصر شرقاً إلى تونس غرباً. وهكذا تحولت ليبيا إلى ميدان حربي حفل

بجميع أنواع الأسلحة، كالدبابات والطائرات والفرق المدرعة والمدفعية الثقيلة والسفن والغواصات والألغام، غير أن القوات المدرعة هي التي سادت في العمليات الحربية في الميدان الليبي، وذلك لأن التكتيكات كانت تشمل تقدم المدفعية تحت حماية الدروع والمشاة والمدافع المضادة للطائرات[30]. ثم طور الألمان أسلوبهم؛ إذ وجد رومل أن الدبابات تشكل الهيكل الأساسي للقوات المدرعة، أما بقية الأسلحة فلا تشكل سوى أسلحة مساعدة. ولهذا كان الألمان يتخذون هجمات مدفعية دباباتهم طعماً لجر البريطانيين إلى الأمام، حتى تقع الدبابات البريطانية في مدى المدفع الألماني المهلك 88 ملم، ومن ثم تطوقها وتقضي عليها، بالتعاون مع الطائرات والمدافع المضادة للدبابات. وفيما بعد استخدم البريطانيون تكتيكات مشابهة، وكان كل طرف يحتفظ بدروع احتياطية لضرب أجنحة الطرف الآخر، واستخدم الطرفان الدعم الجوي، فحقق الألمان به نتائج إيجابية، لوجود تعاون من جانب الطيران الألماني (لوفت وف)، بينما كان الطيران البريطاني يقدم دعماً أقل للقوات الأرضية البريطانية[31].

ومهما يكن من أمر فإن نجاح أي عملية كان يعتمد على التنسيق التام بين مختلف أنواع الأسلحة: القوة المدرعة في البر، تصحبها القوة الجوية، وتنسيق كليهما، كلما أمكن، مع القوة البحرية لاستخدامها الاستخدام المناسب.

وعلى ضوء هذا التنسيق استطاع رومل أن يصل إلى طبرق في عام 1942، ومنها إلى العلمين، لكنه ارتد بشكل عكسي من نفس الطريق بسبب نفس التخطيط البريطاني بقيادة مونتجمري، الذي صده عند العلمين، وأرجعه القهقرى، تحت ضغط الغارات الجوية وقنابل المدفعية البحرية.

إن هذا، إن دل على شيء، فإنما يدل على عملية المد والجزر الذي رافق حرب الصحراء، فاحتلال الصحراء متعذر، فقد يحتل موقع معين ليوم أو أكثر، ثم يقع في قبضة العدو، إذا تم التلاقي، فحرب الصحراء تفرض الحركة، لأن القتال فيها ضد عدو، لا غزو مواقع أو مساحات معينة من الأرض[32]. ولهذا طورت حرب الصحراء من إستراتيجية حرب الدبابات، بأن جعلتها معارك سريعة متحركة[33].

بناءً علي ما تقدم، يتبين أن موقع ليبيا وجغرافيته كان لهما أثر كبير في تحديد إستراتيجية الحرب العالمية الثانية، في ساحتها الأفريقية، فقد برز العامل الجغرافي كمؤثر أساسي في خطط الصحراء، باستثناء موقعي العقيلة في ليبيا، والعلمين في مصر، فلا يوجد سواهما موقع دفاعي يعجز العدو عن الإحاطة به[34]. وذلك لأن

موقع العقيلة يضمن سلامة الأجنحة، لتوفر المواقع الطبيعية، فهو ممر محصور بين البحر المتوسط وبحر الرمال الكبير جنوباً. أما في الأماكن الأخرى فكان هناك دائماً جناح مفتوح على الصحراء، ما يمثل مصدر قلق دائم للقادة[35].

إن هذا يجرنا، بطبيعة الحال، لاستعراض بعض المناطق الليبية التي اتسمت، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، بأهمية استراتيجية، وكانت محل مد وجزر بين القوى الاستعمارية المتصارعة، نظراً لأهميتها كمفاتيح استراتيجية أو خطوط دفاع حيوية، سواء من حيث استخدامها كموقع حربي مباشر، أو من حيث تحويلها إلى حقل ألغام يتشكل به طوق دفاعي ضد الخصم، أو استخدامها موقع دعم بشكل أو بآخر، ومن هذه المناطق ما يلي:

1-طبرق:

هذه القلعة الأسطورية هي مفتاح الطريق إلى مصر، وقد كانت خلال الحرب العالمية الثانية مثالاً للمد والجزر، وللانتصار والهزيمة، إضافة إلى كونها نقطة الارتكاز لهذه الحركة المتأرجحة[36]، بفضل مينائها الطبيعي، الذي يعد قاعدة مثالية للتموين[37]. وقد قال عنها تشرشل "يجب الدفاع عنها حتى الموت، دون أي تفكير في التراجع"[38]، وذلك أن سيطرة الإنجليز عليها، تعني أنهم سيملكون مفتاح الباب الغربي لمرسي البريقة[39]. إن طبرق تمثل مركز ثقل، والسيطرة عليه تتطلب حشد كل صنوف الأسلحة ضده، والقيام بالاختراق فيه وتوسيعه والاندفاع في الاختراق نحو الداخل، قبل ان يتاح للخصم الوقت للرد[40]. ونظراً لهذه الأهمية حرصت بريطانيا، لتأمين نفسها في مصر، على إحكام سيطرتها على طبرق، بجعلها مركزاً لمستودعات كبيرة، لأن فيها احتياطاً من المياه وميناءً مجهزاً ومحمياً، ومنع العدو من استخدامه[41]. وهكذا جعلت بريطانيا مواقعها الدفاعية تمتد من طبرق في سلسلة من (الصناديق) تتصل مع بعضها البعض بحقول ألغام ممتدة من الغزالة إلى بئر حكيم.

أما الجناح الواقع جنوب طبرق فكان مفتوحاً، تغطيه دوريات من السيارات المصفحة تدعمها الدبابات[42].

2- الغزالة:

موقع حصين لبريطانيا، وهي جبهة تعد أعجوبة تكتيكية، فهي تمتد من الساحل إلى بئر حكيم في قلب الصحراء، وطول خط المواجهة فيها أربعون ميلاً، يتكون خط الدفاع فيها من نقط محصنة محاطة بالألغام، أطلق عليها الصناديق الدفاعية، كما كانت بمثابة مواقع مقاومة[43].

3- بئر حكيم:

هي نقطة الارتكاز الجنوبية لخط بريطانيا الدفاعي في قطاع الغزالة، التي تحمي طبرق[44]، ومن ثم فبئر حكيم هو مفتاح جبهة الغزالة، بحيث إنه إذا سقط، تداعى خط الغزالة كله. وقد مثّل هذا الموقع العقبة الأولى أمام التقدم الألماني، وكان صموده يشكل خطراً على كل تقدم تقوم به القوات الألمانية، بتعريض جناحها للتهديد الدائم. ولهذا السبب كانت بريطانيا حريصة على حماية بئر حكيم. أما ألمانيا فكان سقوط هذا الموقع أمراً حيوياً بالنسبة لها، مهما كانت مخاطر الألغام من حوله[45].

4- مرسى البريقة:

اعتبرت البريقة في الحرب العالمية الثانية باب برقة كلها ومفتاحها، ولذا كان البريطانيون يبذلون ما في وسعهم لتقوية مواقعهم فيها، وخصوصاً المضايق المشرفة عليها، لما لها من أهمية استراتيجية[46]. من جهة أخرى كان مرسى البريقة نقطة البداية التي تقدم منها الألمان، ولاحت أمامهم في ذلك الوقت بوادر النصر من هناك، لكنهم توقفوا بعد هزيمتهم في نوفمبر 1941. ومن هناك انطلقت قواتهم مرة أخرى في يناير 1942، لشق طريقها إلى الإسكندرية في محاولة أخيرة. وكانت البريقة كموقع حصين عند الألمان لا يناظرها إلا موقع الغزالة عند الإنجليز[47].

5-المخيلي:

إذا كان مرسي البريقة قد اعتبر في الحرب العالمية الثانية باب برقة كلها ومفتاحها، فإن المخيلي كانت، في هذه الفترة، قلب برقة وحصنها الصحراوي المزود بالأبراج[48]، وقد كانت نقطة التقاء الطرق الصحراوية الموصلة إلى بنغازي[49]. ومن هنا فضل رومل طريق المخيلي على طريق بالبو، وهو الطريق الساحلي[50]. وقد فاجأ رومل الإنجليز بسلوكه طريق الصحراء، متوجهاً نحو المخيلي، التي وصفها بول كارل بأنها "قلب برقة وحصنها الصحراوي"، وكان هدف رومل ضرب مستودعات التموين البريطانية، لا سيما مستودعات الوقود، ثم الاتجاه

نحو مسوس، التي كانت فيها أكبر مستودعات التموين وخزانات الوقود المجهزة تجهيزاً حديثاً، يجعلها أشبه بالقلاع الحديثة في الحرب الميكانيكية. بيد أن الإنجليز تداركوا الأمر، وأحبطوا ما خطط له رومل، بنسفهم الخزانات الموجودة في مسوس[51].

6-مراوة:

تكمن أهميتها في أن الاستيلاء عليها، بالالتفاف حول المخيلي، يؤمن بنغازي من ناحية الشرق[52]، ومن ثم فهي وسْلنطة تعدان أهم محطتين تقعان على الفرع الجنوبي من الطريق الرئيس بين بنغازي ودرنة[53].

7-بنغازي: كانت قاعدة وميناء للتموين.

8-اجدابيا: منطقة توفر المياه الصالحة للشرب[54].

9-البردي: نقطة إسناد بري وبحري مهمة جداً[55].

10-واحة مرادة: منطقة أمامية قوية، احتلها الألمان والإيطاليون، وهي تمثل الجناح الأيمن لخط البريقة. يبلغ طول الطريق بينها وبين العقيلة 122 كم، وتكثر به المسطحات الرملية[56].

11-واحة جالو: احتلتها بريطانيا من نوفمبر 1941، وهي المركز الأمامي لرجال مجموعة الصحراء بعيدة المدى[57].

12-الكفرة: كانت قاعدة لمجموعة الصحراء بعيدة المدى.

13-جبال تبستي: هي المنطقة الأمامية في الجنوب بالنسبة لليبيا وفي الشمال بالنسبة لمنطقة بحيرة تشاد، وتعد بمثابة رأس جسر بين ليبيا وتشاد، وهي بذلك تمثل خطراً مباشراً على الصحراء الليبية، ومن ثم على خطوط المواصلات الألمانية من طرابلس إلى بنغازي، لذلك عمل الألمان على تأمين الحدود الليبية الجنوبية ضد أي هجوم من أفريقيا الوسطي بتدمير "حصن لامي" الذي يقع في منتصف افريقيا، وهو عبارة عن قلعة مدنية تقع في مفترق الطرق المهمة بين شاطئ الأطلنطي وميناء دوالا، في مفترق الطريق إلى الكونغو البلجيكية (سابقا) والجزائر في الشمال. كان هذا الحصن في 1942 مفتاح الطريق البري الممتد عبر المحيط الأطلنطي إلى مصر لتوصيل الإمدادات، ومن هنا اكتسب أهميته الاستراتيجية، من حيث هو مهم وحلقة اتصال لخطوط

عديدة من المواصلات، بما في ذلك الطريق إلى الشرق، الذي يمكن استخدامه على مدار السنة، ويمتد حتى نهر النيل. لأجل هذه القيمة قام الحلفاء بتعبيد الطريق، لكونه بعيداً عن متناول يد المحور. لكن الأخيرين فطنوا لخطورة هذا الموقع بالنسبة لخطوط مواصلاتهم، فوجهوا له ضربة جوية كبيرة وخطيرة، انطلقت من مطار هون في 20 يناير 1942، دمرت حصن لامي وما فيه من طائرات، كما أصيبت مباني المطار إصابات جسيمة[58].

13-طرابلس:

شكلت لبريطانيا الهدف الرئيس، بسبب مينائها الذي تفد إليه جميع الإمدادات القادمة من إيطاليا، ما عرضها لغارات بريطانية جوية وبحرية مكثفة[59].

وفي واقع الأمر كان لكل شبر من التراب الليبي، خلال الحرب العالمية الثانية، قيمته وأهميته الاستراتيجية المنظورة وغير المنظورة، الكائنة أو الكامنة، فإذا كان الساحل الليبي قد برهن على دوره المتوسطي المهم، فإن الصحراء برهنت بالفعل علي قيمتها، وأثبتت وجودها مكاناً ومكانة. وهكذا قيض لهذه التجربة أن تثبت قيمة ليبيا البالغة كموقع استراتيجي دقيق وكموقعة حربية مهمة.

إجمالاً لما تقدم يمكن استخلاص النقاط الرئيسة التالية:

أولاً : المد والجزر، حيث خضعت المعارك في شكلها العام لعملية المد والجزر، وهو شكل تقليدي، بين قوات المحور والحلفاء، ما بين قاعدة مصر شرقاً، وتونس غرباً. هذه الصورة هيمنت أثناء الصراع، فتناوب على ليبيا كل من الطرفين بالتبادل عدة مرات، تقدماً وتراجعاً، احتلالاً وإخلاءً؛ إذ تقدم المحور عدة مرات من ليبيا إلى ساحل مصر، بينما توغل الحلفاء بالدورة نفسها داخل ليبيا. ولئن كانت عملية المد والجزر قد اقتصرت غالباً على قطاع برقة، إلا أنها، في المرحلة الأخيرة من الحرب، شملت ليبيا كلها، من حدها الشرقي إلى حدها الغربي، وهي التي خرج فيها المحور نهائياً من ليبيا، ثم من باقي شمال أفريقيا فيما بعد. وبما أن هذا النمط الحربي كان أكثر تركزاً في برقة، فقد كانت مدنها، وخاصة طبرق، الضحية الكبرى.

ثانياً: المحور الأفقي، وهو خط الأداء الحربي لكل من الحلفاء والمحور؛ إذ اقتصر ميدان المعركة عملياً وغالباً على الممر الساحلي الضيق المحصور ما بين البحر والجبال، سواء في برقة أو طرابلس. هذا الطريق

الممدود أعطى، بل يمكن القول إنه فرض أو حدد، بشكله الجغرافي، نمطاً حربياً معيناً، مثل خطوط مستمرة، ترسم وتتبع خطى التقدم والتقهقر، وتحدد مراحل الغزو والاسترداد.

ثالثاً: المواقع المفصلية، فقد كانت ليبيا مسرحاً رئيساً للقتال، ودارت على أرضها المعارك المتعددة بلا انقطاع، فتعرضت هي للتخريب المباشر، نظراً لأهمية وخطورة بعض المناطق في ليبيا بالنسبة للقوى المتصارعة.

وقد تبين من هذا البحث أن هناك بعض المناطق اختيرت للعملية الحربية، إما بسبب موقعها الاستراتيجي، من حيث هي مناطق خطر، بحكم وقوعها على الحدود، أو لأنها أساساً نقاط قوية، توفر الحد الأقصى من إمكانات ومناورات الهجوم والدفاع. من هذه المواقع -على سبيل المثال-: طبرق، مرسي البريقة، بئر حكيم، الغزالة وغيرها. ومن هنا كانت أهم شروط مناطق الصراع أو الالتحام تدور حول مبدأ الاستراتيجية وحول فكرة التكتيك. ونتيجة لذلك لعبت المعارك التي دارت في هذه الجهات الدور الحاسم في نتيجة الحرب.

ومن هنا فإذا كان من الصحيح القول إن المعارك الفاصلة التي حسمت الصراع في الحرب العالمية الثانية وقعت خارج ليبيا، فإن من المرجح أن المواقع المفصلية داخل ليبيا هي التي حددت كيف ينتهي هذا الصراع، ولصالح من.

الهوامش :

60) علي فهمي خشيم، نصوص لبيية، ط2 (طرابلس، دار مكتبة الفكر، 1975) ص20.

61) الهادي مصطفى أبولقمة، سعد خليل القزيرى، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا ط 1 (بنغازى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1995) ص14- 15، حول الاسم انظر ص 13 وما بعدها.

62) عبد العزيز طريح شرف، جغرافية لبيا، ط 2 (القاهرة، 1971) ص9- 13.

63) الهادي مصطفى أبو لقمة، سعد خليل القزيري، الساحل الليبي، ط1 (بنغازي، منشورات مركز البحوث والاستشارات، 1997) ص18.

64) هنري أنيس ميخائيل، العلاقات الإنجليزية الليبية مع تحليل للمعاهدة الإنجليزية الليبية (مصر، الهيئة العامة للتأليف والنشر، 1970) ص 86 -93. انظر كذلك: الهادي أبو لقمة، الجماهيرية، مصدر سابق، ص19.

65) الهادي أبو لقمة، الجماهيرية، مصدر سابق، ص16-17.

66) جمال حمدان، الجمهورية العربية الليبية: دراسة في الجغرافيا السياسية، القاهرة، عالم الكتب، 1973، ص85.

67) المصدر نفسه، ص87، 98.

68) وليم سي اسكيو، أوروبا والغزو الإيطالي لليبيا (1911-1912)، ترجمة: ميلاد المقرحي، مراجعة عقيل البربار، (طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 1988) ص19.

69) جمال حمدان، مصدر سابق، ص28.

70) هنري أنيس ميخائيل، مصدر سابق، ص101، 102.

71) وليم سي اسكيو، مصدر سابق، ص17.

72) مصطفي عبد الله بعيو، المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا، (ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، 1975) ص52، 53، 54، 60، 62.

73) المصدر نفسه، ص 62، 63، 66، 67.

74) المصدر نفسه، ص 145-146.

75) الهادي أبو لقمة، الجماهيرية، مصدر سابق، ص15.

76) عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص8.

77) وليم سي اسكيو، مصدر سابق، ص17، 18. كذلك جمال حمدان، مصدر سابق، ص29.

78) رودلفو جراتسياني، نحو فزان، ترجمة: طه فوزي (القاهرة، مكتبة صايغ، 1976) ص 468 ،469.

79) المصدر نفسه، ص479، 480.

80) هنري أنيس ميخائيل، مصدر سابق، ص 98، 99.

81) انجبلو ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا، ج2، ترجمة: محمود على التائب مراجعة عمر محمد الباروني (طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين، 1995) ص 364 ،367.

82) هنري أنيس ميخائيل، مصدر سابق، ص119.

83) الهادي أبو لقمة، الجماهيرية، مصدر سابق، ص17.

84) أحمد محمد القلال، سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة 1939-1949، ط1 (بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 2003) ص139.

85) روبرت اليكسى، أشهر معارك الدبابات، ط1 (منشورات إدارة التوجيه المعنوي، 1976) ص147.

86) بوكا، مصدر سابق، ص424.

87) ديسموند يونج، رومل ثعلب الصحراء، ترجمة: المهدي سعد الأبيض (بنغازي، الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع) ص124 وما بعدها.

88) اميل وانتي، فن الحرب من الحرب العالمية الثانية والاستراتيجية النووية، ط1، ترجمة: أكرم ديري، الهيثم الأيوبي، (بيروت، دار القلم، 1973) ص174، 353.

89) روبرت اليكسي، مصدر سابق، ص 26.

90) المصدر نفسه، ص32. كذلك: ديسموند يونج، مصدر سابق، ص 86 -87.

91) رمضان لاوند، الحرب العالمية الثانية، ط 7 (بيروت، دار العلم للملايين، 1979) ص106|. كذلك: ديسموند يونج، مصدر سابق، ص96.

92) بول كارل، ثعلب الصحراء، ج2، ط1 (بيروت، دار القلم، 1969) ص298.

93) رمضان لاوند، مصدر سابق، 139.

94) المصدر نفسه، ص140. كذلك: أحمد القلال، مصدر سابق، ص74.

95) ميشيل كارفر، معارك طبرق، (إدارة التوجيه المعنوي،) ص9.

96) عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص251.

97) يول كارل، ثعلب الصحراء، ج1، ط1 (بيروت، دار القلم 1969) ص27.

98) ميشيل كارفر، مصدر سابق، ص10.

99) بول كارل، ثعلب الصحراء، ج1، مصدر سابق، ص136.

100)رمضان لاوند، مصدر سابق، ص135. كذلك: ميشيل كارفر، مصدر سابق، ص11.

101)روبرت اليكسي، مصدر سابق، ص147.

102)ديسموند يونج، مصدر سابق، ص111.

103)اميل وانتي، مصدر سابق، ص291.

104)بول كارل، ثعلب الصحراء، ج2، مصدر سابق، ص278.

105)المصدر نفسه، ج1، ص18.

106)المصدر نفسه، ج2، ص464.

107)المصدر نفسه، ص26.

108)أحمد القلال، مصدر سابق، ص49.

109)بول كارل، ثعلب الصحراء، ج1، ص24.

110)المصدر نفسه، ص25.

111)المصدر نفسه، ص202.

112)عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص259.

113)بول كارل، ثعالب الصحراء، ج1، ص23.

114)أحمد القلال، مصدر سابق، ص49.

115)عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص272.

116)بول كارل، ثعلب الصحراء، ج1، ص179.

117)المصدر نفسه، ص212-218.

118)بوكا، مصدر سابق، ص404.